

الدكتور صلاح عبد الحافظ

صُورَةُ الْإِسْلَامِ

فِي

شِعْرِ أَبِي نَبِيٍّ الْطَائِي

دراسة نقدية



دار المعارف

## الإهداء

إلى الذى عشت سنوات طوالاً  
استمتع بصوته العذب القدير ، ومازلت ...  
إلى من تسرى موسيقاه وألحانه فى عروقي مسرى الدماء عبر العمر ..  
إلى الموسيقار العظيم :  
محمد عبد الوهاب  
تحية .. فى ذكراه العطرة .

## المحتوى

|    |                                 |
|----|---------------------------------|
| ٢  | ..... الإهداء                   |
| ٥  | ..... تقديم                     |
| ٨  | ..... الشاعر                    |
| ١٤ | ..... الحيوان - التناول الفني   |
| ١٨ | ..... تصوير الأسد عند أبى زيد   |
| ٢٣ | ..... الصورة الشعرية            |
| ٢٣ | ..... أولاً : الصورة الجزئية .  |
| ٢٤ | ..... صور أبى زيد الجزئية - ١   |
| ٤٢ | ..... صور أبى زيد الجزئية - ٢   |
| ٥٠ | ..... ثانياً : الصورة الكلية    |
| ٥١ | ..... صور أبى زيد الكلية        |
| ٦٧ | ..... ثالثاً : الصورة المتداخلة |
| ٧٧ | ..... المصادر والمراجع .        |



## بسم الله الرحمن الرحيم

### تقديم

دعانا إلى دراسة الصورة الشعرية للأسد عند أبي زيد الطائي عدة أمور :

**الأول :** أن دراسة العلاقة بين الشاعر العربي والحيوان ، وخاصة الشاعر الجاهلي لم تعط حقها من البحث والدرس بالقدر الكافي ، فهي علاقة أعمق من مجرد وصف حيوان في بيئة ، أو التعرض للحديث عنه بمناسبة ما .

**الثاني :** أن تصوير الأسد في ديوان أبي زيد ظاهرة تستلفت النظر ، من حيث الكثرة ، فيكاد يكون ثلث الديوان في وصف هذا الحيوان ، في الوقت الذي أعرض فيه عن وصف أى حيوان آخر باستثناء الفرس الذي شبه الأسد به في بعض المواضع ، وبعض أبيات في الناقة .

**الثالث :** أن أبا زيد الطائي من الشعراء الذين لم يلق عليهم الضوء الكافي من الدارسين والباحثين ، ولم تقم - على قدر علمنا - دراسات تناول هذا الشاعر بالتفصيل مع أنه جدير بأن يدرس على حدة لما اتبعه من الخروج على النسق التقليدي للقصيدة الجاهلية وعمود الشعر العربي ، فيما وصلنا من شعره ، وذلك خلافاً لشعراء زمنه ، بالإضافة إلى خصائص أخرى مميزة في شعره .

وقد حاولنا في هذا البحث أن نقدم خصائص صورة أبي زيد الفنية في وصف الأسد متبعين الآتي :

**أولاً :** استخدم المنهج الاستقرائي الذي يقوم على حصر الظاهرة في جميع الأمثلة المتاحة ، لتصوير النتائج أقرب ما تكون إلى الصحة ، محاولين وضع جملة النصوص المتناولة للظاهرة على حدة أولاً ، ثم تلئى النتائج والتعليق ثانياً ، بدلاً من الاقتصاد على بعض الأبيات كأمثلة وسط العرض ، وقد ساعدنا على ذلك صغر حجم الديوان .

ثانياً : ربط الدراسة التطبيقية تلك بالآراء الحديثة فى الصورة الشعرية من حيث أنواعها وقيمتها واتجاهاتها لاستكمال جوانب البحث .

ثالثاً : الاستعانة ببعض المصادر العلمية التى تعرض معلومات عن حياة الحيوان ووصف أعضائه ونحو ذلك ، لتدعيم الصورة : وبيان مدى العلاقة بين جزئياتها، وبين المعلومات الواردة فى تلك المصادر لتوثيق صورة الأسد ، تلك الصورة التى أوردت أدق تفاصيل هذا الحيوان من ناحية ، ومحاولة - نراها جديدة - لإعادة تقييم تراثنا تقييماً جديداً ، تستخدم فيه المصادر العلمية بجانب المصادر الأدبية من ناحية أخرى ، حتى يصل الأمر إلى اعتبار الشعر الجاهلى - على سبيل المثال - مصدراً من مصادر علم الأحياء .

كما استعنا بالمصادر العربية القديمة التى تساعدنا فى البحث وقد أوردنا تفسير المفردات التى ربما يحتاج القارئ إليه بهامش الصفحات كما وردت فى ديوان الشاعر .

ولعلنا بهذا البحث نكون قد وفقنا إلى دراسة عنصر هام من عناصر الإبداع الفنى لدى شاعر ما يزال يحتاج إلى مزيد من الدراسة النقدية الموسعة .

والله ولى التوفيق .

صلاح محمد عبد الحافظ

الإسكندرية فى ١٥/١٠/٩٢

أصيل يوم قاتظ ..  
 على مشارف إحدى واحات شبه الجزيرة العربية ،  
 ظهر رجل ومعه كلب له ،  
 يخطوان لشأنهما ،  
 لم يكن في مرآهما شيء جديد على ما يحدث  
 في تلك الأنحاء في العصر القديم .  
 ولكن الغريب ،  
 أن هذا الكلب كان يرتدى لباساً عجيب الشأن ،  
 كان على جسدة درع مسنن كشوك القنفذ ،  
 يحوطه من كافة جوانبه ،  
 فكأنه مدجج بسلاح ،  
 لا يعرف الرائي للوهلة الأولى ،  
 سبباً لرداء الكلب هذا .  
 على حين غرة ..  
 يبرز من بين الأدغال القرية ..  
 أسد ..  
 له زئير وعويل ،  
 فيواجهه الرجل برمحه وسيفه .  
 فيتجه إلى الكلب ،  
 ظاناً أنه فريسة أسهل منالاً ،  
 ولكن ...  
 سرعان ما يفاجأ بهذه الأشواك الحادة ،  
 وتلك الأنصل المشرعة ،  
 فيشكل الأمر عليه ،  
 ويصاب بالحيرة ،  
 ويؤثر العودة من حيث أتى ...

## الشاعر :

ينتسب أبو زيد ، حرمة بن المنذر إلى قبيلة طيء ، وأشار الدكتور نوري حمودى القيسى - جامع أشعاره - إلى أنه «شاعر جاهلى قديم»<sup>(١)</sup> ، ويقول فى قبيلته : «كانت قبيلة طيء باليمن ، ثم خرجت على أثر الأزد إلى الحجاز ، ونزلوا سميراً وفيداً فى جوار بنى أسد ، ثم استولوا على أجأ وسلمى ، وهما جبلان من بلاد أسد ، فأقاموا فى الجبلين حتى عرفا بجبل طيء ..»<sup>(٢)</sup> .

ويروى ابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ فى جمهرة أنساب العرب فى نسب الغوث ابن طيء : «فعدد ولد عمرو بن الغوث ستة عشر ذكراً ، ومن بنى هنىء بن عمرو أيضاً ، أبو زيد الشاعر النصراني ، واسمه حرمة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة ابن النعمان بن حية ..»<sup>(٣)</sup> ، ويروى أبو الفرج الأصبهاني المتوفى ٣٥٧ هـ بعد ذكر نسبه : «وكان أبو زيد نصرانياً ، وعلى دينة مات ، وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، فعد فى المخضرمين ..»<sup>(٤)</sup> ، ويروى ياقوت المتوفى ٦٢٦ هـ أنه : «شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة ، وعداده فى المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ..»<sup>(٥)</sup> .

من هذا نرى أن أبا زيد - حرمة بن المنذر - ينسب إلى قبيلة طيء بلا خلاف ، وأنه ولد فى الجاهلية ، وعاش حتى أدرك الإسلام ، ولكن لم يدخل فيه ، وأنه كان يدين بالنصرانية .

عد ابن سلام الجمحى المتوفى ٢٣١ هـ أبا زيد فى الطبقة الخامسة من

---

(١) الديوان ٥ .

(٢) المصدر نفسه ٦ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٤٠١ .

(٤) الأغاني ١١ : ٢٣ .

(٥) إرشاد الأريب ٤ : ١٠٧ .

الإسلاميين ، ويذكر أن أبا زيد « كان من زوار الملوك ، وملوك الأعاجم خاصة ، وكان عالماً يسيرها .. » (١) .

عاش أبو زيد الطائي عمراً مديداً . ومات بعد سنة أربعين للهجرة كما يرجح جامع شعره ، ولم تحدد المصادر التي ترجمت له زمن وفاته ، ولكن - كما يبدو من قصائده في الديوان - أنه حضر خلافة عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب (٢) ، بل يذكر أبو علي القالي في النوادر أنه ظل حتى زمن يزيد بن معاوية (٣) وهذا يخالف ما ذهب إليه بروكلمان في قوله : « أبو زيد ، حرمة بن المنذر الطائي ، مات نصرانياً في خلافة عثمان .. » (٤) .

كان أبو زيد نديماً ملازماً للوليد بن عقبة والى الكوفة من قبل عثمان بن عفان ، وله أشعار كثيرة فيه ، وكان يحبه ويخله ، وقد وقف الوليد إلى جانبه ونصره في كثير من المواقف التي تعرض لها (٥) .

ويظهر من المصادر السابقة أن أبا زيد مات نصرانياً ، لكننا نجد الطبري المتوفى ٣١٠ هـ ، يقول في تاريخه في حوادث سنة ٣٠ : « وكان أبو زيد في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم ، وكانت بنو تغلب أخواله ، فاضطهده أخواله ديناً لهم ، فأخذ له الوليد (يقصد الوليد بن عقبة) بحقه ، فشكرها له أبو زيد .. » (٦) ، ويقول : « وآخر قدمه قدمها أبو أبو زيد على الوليد ، وقد كان ينتجمه ويرجع ، وكان نصرانياً قبل ذلك ، فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد ، وحسن

(١) طبقات فحول الشعراء ٥٠٥ .

(٢) الديوان ١٦ .

(٣) النوادر ١٨٠ - ١٨١ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ١ : ١٧٣ .

(٥) انظر الديوان ٢٣ ، ٧٨ ، ١٢٣ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٤ : ١٧٣ .

إسلامه ، فاستدخله الوليد<sup>(١)</sup> ، ولم تذكر مصادر أخرى بعد الطبرى إسلامه ، ولا نستطيع أن نستدل من الديوان على شيء من هذا ، فلم يشر الشاعر إلى نصرانيته ، ونرى جامع شعره يقول : «إن موضوع إسلامه لم يكن فيه مجال للاختلاف أو التردد»<sup>(٢)</sup> ، وهأتى بآراء وأدلة يراها - من وجهة نظره - تؤيد إسلامه .

يروى ياقوت إن أبا زيد كان «طوالاً من الرجال ، يتهى إلى ثلاثة عشر شبراً وكان حسن الصورة ، فكان إذا دخل مكة دخلها متكرراً لجماله ..»<sup>(٣)</sup> ، ويذكر محمد سلام الجمحي عن أبى الغراف أن عثمان بن عفان كان يقرب أبا زيد «ويذنيه ، ويذنى مجلسه ..»<sup>(٤)</sup> .

يذكر بروكلمان أن أبا زيد «اشتهر بوصف الأسد ، كما روى أنه لقيه بنفسه ..»<sup>(٥)</sup> .

وقد أورد ياقوت قصيدته :

فباتوا يدلجون وبات يسرى بصير بالدجى هاد هموس<sup>(٦)</sup>

وقد ذكر فيها الأسد .

مات أبو زيد ميتة درامية بعد أن امتد به العمر ، ولكأنه رأى ملك الموت أمامه ، فيروى ياقوت : «كان أبو زيد يحمل فى كل أحد إلى البيع مع النصارى ، فبينما هو ذات يوم أحد يشرب والنصارى حوله ، رفع بصره إلى السماء ، فنظر طويلاً ، ثم رمى

(١) المصدر نفسه ٤ : ٢٧٣ .

(٢) الديوان ١٥ .

(٣) إرشاد الأريب ٤ : ١٠٦ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٥٠٥ ، وانظر إرشاد الأريب ٤ : ١٠٧ .

(٥) تاريخ الأدب العربى ١ : ١٧٣ .

(٦) إرشاد الأريب ٤ : ١١١ ، والديوان ١٠٨ .

الكأس من يده وقال :

|                               |                         |
|-------------------------------|-------------------------|
| إذا جعل المرء الذى كان حازماً | يحل به حل الحوار ويحمل  |
| فليس له فى العيش خير يريد     | وتكفينه ميتاً أعف وأجمل |
| أتانى رسول الموت بامر حياً به | وانى لآتيه أما سوف أفعل |

ثم مات فجأة ودفن هناك ..<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) إرشاد الأريب ٤ : ١١٥ ، وفى الديوان ١٣٢ الشطرة الأخيرة :

\* وبهذا هو مُرسلاً حين يرسل \* .

## الحيوان

احتل الحيوان العامة بأنواعه ، مكانة كبيرة فى الأدب العربى ، شعره ونثره ، وعلى مدى تطوره وعصوره ، وكان للعصر الجاهلى نصيب الأسد من ذلك ، وقد اختلفت بعض أنواع الحيوان الآن من شبه الجزيرة العربية وبادية الشام ، مثل الأسود والحمر الوحشية والثيران البرية ونحوها ، وما يزال بعضها موجوداً مثل الثعالب والظباء وغيرها<sup>(١)</sup>.

وكانت الأسود منتشرة منذ القدم فى غربى أوروبا وآسيا ، وفى شمالى الهند ووسطها ، بل وفى أنحاء أفريقيا كلها<sup>(٢)</sup> ، وأخذت تتناقص منذ عام ١٠٠ ميلادية ، وفى حوالى سنة ١٨٨٤ م لم يبق من هذا الحيوان سوى بضعة عشر فى بعض مناطق الهند وغاباتها ، ثم انقرضت تماماً فيما بعد كما انقرض بعد ذلك التاريخ بقليل الأسود فى غربى آسيا وفى إيران والعراق على وجه التحديد<sup>(٣)</sup>.

هذا يعنى أن الأسود كانت موجودة فى العصر الجاهلى ، وكذا فى العصرين : الأموى والعباسى ، بدليل ما سبق ، ودليل وجودها فى شعر شعراء تلك العصور. كان الأسود تصاد مثل سائر بعض أنواع الحيوان الأخرى فى بادية الشام وما حولها<sup>(٤)</sup>.

ويعتبر الأسد The Lion من الثدييات ، كلات اللحوم Carnivorous وينتمى إلى العائلة القططية Cats . وقد خلق جسمه بكل أعضائه ليلائم الافتراس<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر مقال : «كيف يستفاد من الشعر الجاهلى فى دراسة جغرافية الجزيرة العربية » لمحمد محمود محمد - مجلة الدارة السعودية - العدد الأول السنة الأربعون ، ص ٢١٤.

(٢) The New Illustrated wildlife Encyclopedia Vol 13 .

(٣) Ibid Vol XIII p. 1451 - 1455 p. 1451 ` 7455 .

(٤) انظر ديوان المتنبي ١٣٣ حيث يصف رحلة صيد اشترك فيها وصور فيها الأسد .

(٥) The New Illustrated wildlife Encyc . Vol XIII 1451.

يقال للأسد سبع ، لأنه كما أوردنا - من آكلات اللحوم ، ويقول الثعالبي إن الأسد «سيد السباع ، كما أن العقاب سيد الطيور ، والفرس سيد الدواب ..» (١) .

ولذلك ، ومع ما يظهر في هذا الحيوان من عظمة وكبرياء وجمال ، أطلق عليه اسم «ملك الغابة» ، وإذا قيل السبع يتبادر للذهن أولاً الأسد . ونتيجة لذلك أصبح لفظ السباع عنواناً للتكبير والافتراس . فنجد جوارح الطير ، يطلق عليها لفظ سباع .

قال ابن شهيد الأندلسي في وصف عسكر :

وتدري سباع الطير أن كمامته إذا لقيت صيد الكمامة سباع (٢)

ويقول بكر بن النطاح :

وقرى السباع من الجوارح فوق عسكرنا جوانح (٣)

\* \* \*

(١) ثمار القلوب ٣٠٦ .

(٢) المختار من شعر شعراء الأندلس لابن الصيرفي ١٣٣ .

(٣) ديوان بكر بن النطاح ١٦٩ .

## الحيوان : التناول الفنى

احتل الأسد مكانة متميزة فى الشعر العربى بدءاً من العصر الجاهلى ، فكان الجاهليون ، وهم أقرب إليه عهداً ، وأكثر خططة ، قد تعرضوا له فى شعرهم ، فلو نظرنا إلى الشعر الجاهلى ، وجدنا أن ذكر الأسد بعامة يتجه ثلاثة اتجاهات :

### الاتجاه الأول

ويتميز بالآتى :

- ١ - أن ذكر الأسد ، أو وصفه لا يتعدى بيتاً ، أو جزءاً من بيت .
  - ٢ - أنه لا يقصد به وصف الأسد لذاته ، وإنما للتشبيه به ونحوه .
  - ٣ - أن الأوصاف جملة فى موضع المدح والتمجيد أو التعظيم فى جميع ما قيل .
- من أمثلة هذا الضرب قول امرئ القيس حيث يشبه نفسه ، أو أباه به :
- قولا لدودان عبيد العصا      ما غركم بالأسد الباسل<sup>(١)</sup>
- وهذا طرفة بن العبد يصف أهل عشيرته ، يتقدمون لعدوهم ، ويحمون ذمارهم بقوله :
- بشباب وكهول نهد      كليوث بين عريس الأجم<sup>(٢)</sup>
- ونرى عبيد بن الأبرص يفخر بقومه فيقول :
- فى أسرة يوم الحفاظ مصالت      كالأسد لا ينمى لها بفريس<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان امرئ القيس ١١٩ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلام الشنتمرى ١١٠ .

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ٨٠ .

ويشبه النابغة الذبياني النعمان بن المنذر بالأسد ، فيقول :

متوج بالمعالي فوق مفرقه      وفي الوغى ضيغم في صورة القمر<sup>(١)</sup>  
ويقول في موضع آخر :

انبت أن أبا قابوس أو عدني      ولا قرار على زار من الأسد<sup>(٢)</sup>  
ومجد قيس بن الخطيم يفتخر بانتصار قبيلته ، فيقول :

كأننا وقد أجلوا لنا عن نسائهم      أسود لها في عيص ييشة أشبل<sup>(٣)</sup>  
ويفتخر عامر بن الطفيل ، وهو شاعر وفارس مخضرم ، مات في السنة العاشرة للهجرة ، فيقول :

واني أكر إذا أحجموا      بأكرم من عطفة الضيغم<sup>(٤)</sup>  
ويأتى ذكر الأسد في أكثر من موضع عند عنتر بن شداد ، فنراه يقول مفتخراً :

إني أنا ليث العرين ومن له      قلب الجبان محير مدهوش<sup>(٥)</sup>  
ويقول في وصف منازلہ :

وقادوني إلى ملك كريم .      رفيع قدره في العزراق  
وقد لاقيت بين يديه ليثاً      كربه الملتقى مر المذاق<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان النابغة الذبياني ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢٩ .

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ٨٣ .

(٤) ديوان عامر بن الطفيل ٥ ، ١٢٠ .

(٥) ديوان عنتر بن شداد ٩٢ .

(٦) المصدر ذاته ١١٦ .

ويقول مفتخراً بهزيمة عدوه :

وإذا جيوش الكسرى تبادرت  
قاتلتها حتى تمل وتشتكى  
كرب الغبار رفيعها ووضيعها  
فيكون للأسد الضواري لحمها  
نحوى ، وأبدت ما تكن ضلوعها  
وإن صحننا خيلها ودروعها

الاتجاه الثانى ، ويتميز بالآتى :

١ - التوسع قليلاً عن الضرب الأول من حيث عدد الآيات ، فتصل إلى ثلاثة ، أو نحوها .

٢ - أن ذكر الأسد يتعدى التشبيه به إلى وصفه لذاته ، مما يغلب على الظن الرؤية المباشرة له ، أو التأثير من لقائه ، ومن ثم يرتقى هذا الاتجاه عن السابق من حيث عمق النظرة ، وممارسة التجربة ، مع دقة الوصف .

٣ - قلة هذا الاتجاه عند الجاهليين .

من شعراء هذا الضرب عروة بن الورد زعيم الصعاليك ، الذى اشتهر بوصف الأسد الوصف الدقيق المفصل - كما يذكر الدكتور نورى القيسى - ذلك «الوصف الذى لا يتهياً إلا لمن اتصل به اتصالاً قريباً ..»<sup>(١)</sup>

وفى ديوان عروة نجد أبياتاً يقول فيها فى ذكر قوم توعدوه :

تباغى الأعداء إما إلى دم  
بظل الإباء ساقطاً فوق متنه  
وإما عراض الساعدين مصدرا  
له العدة الأولى إذا القرن أصحرا  
من اللاء يسكن الغريف بعثراً<sup>(٢)</sup>  
كأن خوات الرعد رزه زئيره

(١) مقدمة ديوان أبى زيد الطائى ١٨ .

(٢) ديوانا عروة بن الورد والسموأل ٣٤ .

ويؤيد الدكتور يوسف خليف هذا الرأي في حديثه عن الشعراء الصعاليك ، وعروة منهم ، فيقول : « الأمر لا يقف بالشعراء الصعاليك عند هذا الحد ، بل يتجاوز ذلك أحياناً إلى تعرضهم لبعض هذه الأنواع بالوصف الدقيق المفصل ، الأمر الذى لا يتهيأ إلا لمن اتصل بهم اتصالاً مباشراً قريباً ، عرف منه طبائعها وعاداتها . ففى شعر عروة وصف للأسد .. إلخ»<sup>(١)</sup> .

وربما ساعدت عروة ظروفه فى الصعلكة ، وجوب القفار ، فى التعرف على هذا الحيوان ووصفه .

ومن شعراء هذا الضرب أيضاً ، الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس<sup>(٢)</sup> .

### الاتجاه الثالث ، ويتميز بالآتى :

١ - أن ذكر الأسد يشمل قصيدة بأكملها ، بل أكثر من قصيدة فى الديوان الواحد .

٢ - التعرض لكل ما يختص بالأسد ، سواء فى الوصف الشكلى الدقيق ، أو المعنوى ... إلى آخر ذلك . لا يكاد يترك الشاعر منه شيئاً ، كذلك التشبيه به أو التمثيل .

٣ - لا يوجد هذا الضرب - على قدر علمنا - إلا عند شاعرنا المخضرم أبى زيد الطائى الذى خصص جزءاً كبيراً من ديوانه لتصوير ذلك الحيوان ، بل وصفه فى غير شعر ، ولذا يعتبر هذا الشاعر أشهر وصاف للأسد فى الشعر العربى .

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ٢٤١.

(٢) انظر ديوان الأعشى الكبير .

## تصوير الأسد عند أبي زيد

إذا نظرنا إلى ديوان أبي زيد نجد أن ذكر الأسد ورد عنده كالاتى :

أولاً : قصائد تتعرض لوصف الأسد على حدة ، وذكر أعضائه وصفاته الشكلية ونحو ذلك ، لا ترك منها شيئاً .

من ذلك أبياته الثمانية التى مبدؤها :

ومن فلال هام القوم مختلفاً بمسحى من أمين الجلد إتعاباً<sup>(١)</sup>  
ومن هذا الضرب أبيات أربعة ، مبدؤها :

عبوس شמוש مصلخد مكابر جرىء على الأقران للقرن قاهر<sup>(٢)</sup>  
ومن ذلك قولاه أيضاً :

\* إذا سار عزته يداه وكاهله<sup>(٣)</sup> \*

\* ينيخ نهساراً بالرفاق<sup>(٤)</sup> \*

ثم نجد له بيتين على حدة يصور فيهما الأسد فى عرينه ، فيقول :

يقوت شبلين عند مطرقة قد ناهزا للفظام أو فطما

لم يأت يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما<sup>(٥)</sup>

ثانياً : قصائد أخرى تتعرض لتصوير قافلة أو ركب سائرين تعرضوا لهجمات الأسد ، ثم تبين أعماله فيهم ، وشدة بأسه وقوته ، واقتناص الفرائس من الرجال ،

(١) الديوان ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ١٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ١٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ١٤٩ .

ومدى الرعب والفرع للذين أثارهما .

من ذلك قصيدته التي بدأها بتصوير الأسد في اثني عشر بيتاً ، ثم تطرق بعدها إلى ذكر هجومه على قافلة ، وتتبعه لها ، ثم افتراسه رجلاً أو اثنين منها ، ومبدأ القصيدة :

فلا يعلقنكم مهصر الناب عنبس عبوس له خلق غليظ غضفر<sup>(١)</sup>

وتشابه هذه القصيدة أخرى مبدؤها :

ورد كأن على أقتاده حرجاً في قرطف من نسيج النجت مخدور<sup>(٢)</sup>

كما نجد قصيدة ثالثة من هذا الاتجاه ، أوردها ياقوت في معجم الأدباء وقد بدأها أبو زيد بالحديث عن القافلة ، ثم تعرض بعد ذلك لهجمات الوحش ، مبدؤها :

فباتوا يدلجون وبات يسرى بصير بالدجى هاد هموس<sup>(٣)</sup>

ثالثاً : أربعة أبيات بدأها أبو زيد بالفخر . ثم شبه نفسه بالأسد بعد ذلك ، مبدؤها :

ألا ابليغ بنى عمرو رسولا فإني في مودتكم نفيس<sup>(٤)</sup>

رابعاً : قصيدة مدح فيها على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - مشبهاً إياه بالأسد بعد بيتين ، مبدؤها :

إن علياً ساد بالتكرم والحلم عند غاية التحلم<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر نفسه ٥٨ .

(٢) الديوان ٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ٨٤ ، وإرشاد الأريب ٤ : ١١١ .

(٤) الديوان ١٠٠ .

(٥) المصدر نفسه ١٣٣ .

خامساً : قصيدة يمدح فيها الوليد بن عتبة ، ويشبّهه بالأسد ، مبدؤها :

لعمري لئن أسمى الوليد بيلدة      سوى لقد أسمى للدهر معورا<sup>(١)</sup>

سادساً : قصيدة ذكر مبدؤها ابن سلام الجمحي ، وياقوت وأبو الفرج الأصفهاني ، فيقول ابن سلام : « حضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها ، فالتفت عثمان إلى أبي زيد ، فقال :

« يا أخا تبع المسيح ، أسمعنا بعض قرلك ، فقد أنبتت أنك مجيد ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

من مبلغ قومنا التائبين إذ شخطوا      أن الفؤاد إليهم شيق ولع<sup>(٢)</sup>

ومن الطريف أن أبا زيد وصف الأسد في غير شعر - كما ذكرت - فنجد ياقوتا يروى بعد الخبر السابق أن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال لأبي زيد : تالله تفتؤ تذكر الأسد ما حييت ، والله إنني لأحسبك جباناً هذان ، قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت منه منظراً . وشهدت مشهداً ، لا يرح ذكره يتردد في قلبي ، ومعدور أنا بذلك يا أمير المؤمنين غير ملوم ، فقال له عثمان : وأين كان ذلك ؟ وأنى ؟ فقال : خرجت في صيابة من أشراف قريش .. إلخ<sup>(٣)</sup> ، وينشئ أبو زيد نثراً في وصف القافلة ، وكيف استراحت في دغل ، وكيف ظهر لها الأسد ، مع بيان مدى الرعب الذي أثاره فيها ، ثم افتراسه رجلين منها ، وظل يصور ذلك حتى قال عثمان : « اسكت ، قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين .. »<sup>(٤)</sup> . وقد وصل وصف أبي زيد للأسد مبلغاً عظيماً حتى إن قومه « لاموه على ذلك وقالوا :

(١) المصدر نفسه ٧٢ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٥٠٥ وإرشاد الأريب ٤ : ١٠٩ والأغاني ١١ : ٢٣ .

(٣) إرشاد الأريب ٤ : ١٠٩ ، وانظر مقدمة الديوان ٩ وما بعدها ، وطبقات فحول الشعراء ٥٠٥ ، والأغاني ١١ : ٢٣ .

(٤) إرشاد الأريب ٤ : ١١١ .

خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له ، فقال : لو رأيتم منه ما رأيتم ، أو لاقيتم منه مالمقى «أكدر» لما لمتوني ، ثم أمسك عن وصفه ، فلم يصفه حتى مات ..» (١) .

ويروى أبو علي القالى فى «النوادر» عن أبى عبيدة أنه قال : «اجتمع عند يزيد ابن معاوية أبو زيد الطائى ، وجميل بن معمر ، والأخطل الثقلى ، فقال لهم : أيكم يصف الأسد فى غير شعر ؟ ، فقال أبو زيد : أنا يا أمير المؤمنين ، : لونه ورد ، وزئيره رعد ، ووثبه شد ، وأخذه جد ، وهوله شديد ، وشره عتيد ، ونابه حديد ، وأنفه أخحم ، وخذه أدرم ، وشعره أدلم ، وكفاه عراضتان ، ووجنتاه ناتمتان ، وعينه وقادتان كأنهما ملح بارق ، أو نجم طارق .. إلخ» (٢) ، واستمر يصفه على هذا النحو فى نثر شيق دقيق ، منهياً الوصف بثلاثة أبيات ..

سابعاً : قصيدة يصف فيها كلبه وعرين الأسد (٣) ومن طريف ما يروى أن ابن الأعرابى روى أنه كان «لأبى زيد كلب يقال له الأكدر ، وكان له سلاح يلبسه إياه ، فكان لا يقوم له الأسد ، فخرج ليلة ولم يلبسه سلاحه ، فلقية الأسد فقتله ، فقال أبو زيد :

فجال أكدر مختالا كعادته حتى إذا كان بين الحوض والعطن (٤)

وفى مقدمة القصيدة فى الديوان : «وقال أبو زيد فى كلب له كان يساور الأسد ، ويمنعه من الفساد حين حطمه الأسد ، وكان اسمه الأكدر فقال : الأبيات ..» (٥) .

(١) المصدر نفسه ٤ : ١١٢ .

(٢) النوادر ١٨٠ : ١٨١ .

(٣) الديوان ١٣٨ .

(٤) إرشاد الأريب ٤ : ١١٢ .

(٥) الديوان ١٣٨ .

ولا شك أن المعاناة والألم عنصران هامين من عناصر الإبداع الفني لدى الشاعر، ومفتاح تصوير أبي زيد للأسد يكمن في قوله لمن لاموه على كثرة وصفه للأسد : « لو رأيتم منه ما رأيتم ، أو لاقيتهم منه ما لقي أكدر لما لمتوني » . وحاول الشاعر فيما بقى لنا من شعره أن يصور هذا الحيوان بكل ما أوتى من إبداع ، متأثراً في كل ما قال بهذه المعاناة .

\* \* \*

## الصورة الشعرية The Poetic Image

تعتبر الصورة الشعرية أو الفنية جوهر الشعر ، والأساس الأول للعمل الفني في القديم والحديث<sup>(١)</sup> .

ولو تتبعنا تصوير أبي زيد للأسد لوجدنا أن صوره - من الناحية النقدية - تنقسم إلى أنواع ، يؤدي كل نوع إلى الآخر ، فيما يشبه الوحدة ، أو التطور العضوى .

**أولاً : الصورة الجزئية**

وهى الصورة التى لا تزيد على بيت أو بيتين ، وعمادها التشبيه أو الاستعارة أو أى نوع من المجاز ، أى استخدام الشاعر للخيال بمعناه المحدود ، كما جاء فى الشعر العربى ، وكما يقول ريتشاردز : « غالباً لا يقصد بالخيال أكثر من استخدام لغة المجاز ، فيقال عن الناس الذين يستخدمون بطبعهم الاستعارة والتشبيه من نوع غير مألوف ، يقال عنهم إنهم تتوفر لديهم ملكة الخيال ، ومن الجائز أن يصحب هذا المعنى أولاً يصحبه معان أخرى للخيال ، وينبغى لنا ألا ننسى أن الاستعارة أو التشبيه ، ( ونستطيع أن نناقش كليهما معاً ) تقومان بعدة وظائف متباينة فى الكلام ، فقد تكون وظيفة الاستعارة هى التوضيح أو التبيين ، أى قد تقدم مثلاً محسوساً لعلاقة كان لابد من وضعها فى لغة مجردة لولا هذه الاستعارة .. »<sup>(٢)</sup> .

ومهما يكن من أمر قيمة التشبيه أو المجاز فى تكوين الصورة الشعرية ، فهى على أية حال نوع ما من أنواع الخيال .

ومع أن دواوين الشعراء العرب تمتلئ بهذا النوع من الصور ، لكنها تختلف من حيث القيمة والأهمية . من شاعر إلى آخر<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر تعريفنا للصورة وطبيعتها ووظيفتها كتابنا «الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر

الجاهلى وشعره ٢ : ١٢٥ وما بعدها

(٢) مبادئ النقد الأدبى ٩ ٣

(٣) انظر «الزمان والمكان وأثرهما ٢ : ١٢٧ وما بعدها

وتختلف أوضاع هذه الصور الجزئية داخل القصيدة ، فأحيانا هي مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها أو بعدها ، وأحيانا - مع «جزئيتها» - يمكن أن تكون جزءاً من صورة عامة ، تؤدي دوراً مع ما قبلها وما بعدها من صور جزئية أخرى ، وأحيانا تكون جزءاً من صورة «عضوية» تؤدي فيها دوراً عضوياً فى العلاقة بين ما قبلها وما بعدها . وقد ينظر إلى الصورة الجزئية على حدة إذا انتزعت «بمفردها» أى بيئتها ووردت على حدة ، فتكون لها قيمتها وأهميتها من حيث هذا الوضع ، وقد ينظر إليها على أنها جزء من كل .. وهكذا ..

ومع اشتراك الشعراء فى الصور الجزئية أو العامة أو الكلية فلا بد أن يكون هناك اختلاف فيما بينهم فى طبيعة هذه الصور وما صاحب إبداعها من ظروف ونحو ذلك ، حتى وإن اتفقوا جميعاً فى شكل الصورة «أو نوعها» ، كما عرفناها .

### صور أبى زيد الجزئية - ١

يقول

كَأَنَّ أُنُوبَ نَقَادٍ قَدَرْنَ لَهُ      يعلو بخمليتها كهباء هدايا (١)  
فجلد الأسد ، وما عليه من شعر متدلٍ يشبه ما يرتديه الراعى من قطيفة مغبرة .  
ويقول :

ورد كأن على أكتاده حرجاً      فى قرطف من نسيج النجت مخدور (٢)

فأعاد تصوير شعره بالقطيفة التى تتخذ مما سقط من شعر الإبل .

(١) الديوان ٣٩ والنقاد صاحب النقد ، وهى الغنم الصغار ، قدرن : طبعن عليه ، وجعلن على قدر جسمه ، الكهباء التى تضرب إلى القبرة» الديوان ٣٩ .

(٢) الديوان ٨٠ وفى الهامش : «الكند : مغرز العنق فى الكاهل ، والخرج : الهودج ، شبه ما على كتفه من الشعر بالخرج ، والقرطف : القطيفة» .

ويقول :

له زبر كاللبد صارت رعايلا وكثفان كالشرطين عبل مضبر<sup>(١)</sup>

فأضاف إلى اللبدة صفة التقطع والانتشار ، كما وصف كثفيه بأنهما مثل العودين في مقدم الرجل ، وأن جسم الأسد متماسك ومحكم .

فتصوير الشاعر للبدة الأسد ، وشعره ولونه جاء بناء على رؤية ومشاهدة حقيقية وملاحظة مقصودة من الشاعر المعانى من هذا الحيوان . فلون الأسد - كما تذكر المصادر العلمية - أعفر أو أصحر ، أو بعبارة أخرى آخر نحاسي اللون<sup>(٢)</sup> .

وهذا يتفق مع ما ذكره الشاعر فى لون ما تساقط من شعر الإبل ، ويتفق مع ملائمة لون الأسد ، والإبل كذلك للبيئة حولها . ويصف المصدر السابق لون لبدة الأسد بأنها نحاسية أقرب إلى السواد أيضاً ، وتكون أحياناً كثيفة ، وملبدة ومكتظلة ، وأحياناً أقل كثافة ، وتكون اللبدة - كما يشير المصدر نفسه - على الرأس والعنق والأكتاف ، وقد تمتد إلى البطن<sup>(٣)</sup> . ويذكر أن ارتفاع الأسد حتى الأكتاف يصل إلى ثلاثة أقدام ونصف<sup>(٤)</sup> . وهذا ما جعل أبا زيد يصف كثفى الأسد بأنهما مثل عودى الرجل . ويذكر النويرى أن الأسد الذى عرف عند العرب نوعان : «أحدهما مستدير الجثة ، والآخر طويلها ، كثير الشعر»<sup>(٥)</sup> .

(١) الديوان ٥٨ - فى الهامش : «الزبرة : الشعر المجتمع للفحل والأسد وغيرها ، وقبل زهرة الأسد : الشعر على كاهله ، الرعايل : المتقطع ، الشرخان : عودان فى مقدم الرجل وأخترته يتكىء عليهما الراكب ، العبل : الضخم ، المضبر : المرتق المحكم ..» .

The New Illustrated Encyc . Vol XIII p. 1452. (٢)

Ibid Vol XIII p .1453 . (٣) انظر

Ibid Vol XIII .1453 . (٤) انظر

(٥) نهاية الأرب ٩ : ٢٢٧ .

وأعاد الشاعر تشبيه جسمه بالرحل في قوله :

أو ذا شصائب في أحنائه شمم رخو الملائ غبيطاً فوق صرصور<sup>(١)</sup>

فطول الأسد الذكر يصل إلى تسعة أقدام ، منها ثلاثة لذيله ، ويصل وزنه إلى ٥٥٠ رطلاً ، ولكن اللبوة أقل حجماً<sup>(٢)</sup> ، ونلاحظ وصف الشاعر «رخو الملائ» ، فالأسد مع إحكام جسمه وشدته ، لين في حركته ، متموج في زحفه نحو الفريسة كالقط ، يستطيع أن يسلط أضيق الفتحات وينزل كالثعبان في الفروج<sup>(٣)</sup> .  
ويقول :

\* إذا سار عزته يدهاء وكاهله<sup>(٤)</sup> \*

ويذكر ابن قتيبة : «لكل سبع كفان في يديه لأنه يكف بهما على ما أخذ»<sup>(٥)</sup> .

ويقول أبو زيد :

مقابل الخطو في أرساغه فدع ضبارم ليس في الظلماء هيباً<sup>(٦)</sup>

ونلاحظ تعبير «في أرساغه فدع» مما يدل على حركة الأسد المتموجة والمناسبة.

(١) الديوان ٨٠ - الهامش : «الشصائب : عيدان الرجل ، واحدها شعية في أحياء الرجل ، شمم : أى ارتفاع ، رخو الملائ : أى لم يشد شداً جيداً ، والملائ جنب البعير ، وهو ها هنا جنب الرجل والغبيط : مركب النساء ، الصرصور : الهازل من الإبل ، ويقال هو الفالج ..» .

The New Illustrated Encyc . Vol XIII p. 1452.

(٢) انظر

Ibid Vol XIII p. 1452.

(٣)

(٤) الديوان ١٤٣ .

(٥) أدب الكاتب ١٤٤ .

(٦) الديوان ٤٠ - الهامش : «الفدع : عوج وميل نفي المفاصل كلها خلقة أو داء ، الضبارم والضبارمة : الأسد الوثيق ، الجريء على الأعداء ..» .

كما يضيف الشاعر صفة معنوية ، وهى جرأته ، وعدم خشية عدوه ، حتى فى الظلام .

ويكرر الشطرة ذاتها :

مقابل الخطو فى أرساغه فدع      ورداً يدفع أوساط العياهير<sup>(١)</sup>  
فأضاف اللون ..

ويقول :

إلى مقارب خطو الساعدين له      فوق السراة كذفرى القارح الغضن<sup>(٢)</sup>  
فشبه ظهره بظهر الفرس .

ويقول :

وفى القوائم والأقارب باقية      منه هذاليل تبطين وتصدير<sup>(٣)</sup>  
فوصف قوائمه وخاصرته بأنها مثل الفرس فى حركتها وخفتها .

---

(١) الديوان ٨٢ - الهامش : « الفدع فى الكف ، وهو زيع فى الرسغ بينها وبين الساعد ، وهو فى القدم ، كذلك زيع بينها وبين عظم الساق .. » .

(٢) الديوان ١٣٩ - الهامش : « السراة بالفتح : الظهر ، أو أعلى كل شئ » ، والذفرى ما بين المقتد إلى نصف القذال ، والمقتد : ما بين الأذنين من الخلف ، والقذال : القفا ، والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن ، والقارح ، الفرس فى سن الخامسة » .

(٣) الديوان ٨٢ - الهامش : « الاقارب : الخواصر ، والهذاليل : المقطع ، وقوله : بتطبيق وتصدير : يقول بلى من الجبل فى موضع البطان والتصدير . »

وأعاد تشبيهه بالفرس فى قوله

وجال كأنه فرس صنيع      يجر جلاله ذيل شמוש  
 كأن بنحره وبمنكبيه      عبيراً بات تعبؤه عروس<sup>(١)</sup>  
 فأضاف الاختيال ، وحركة الذيل ، بل كأنه فى هذا الاختيال كمن وضع طيباً  
 يعبق منه .

ويقول :

فلا يعلقنكم مهمر التاب عنسر      عبوس له خلق غليظ غضنفر<sup>(٢)</sup>  
 فوصف قوة أسنانه وميل أنيابه ، وقوته وغلظ خلقه وعبوسه أمام عدوه .  
 ويقول :

عبوس شמוש مصلخد مكابر      جرى على الأقران للقرن قاهر  
 منيع ، ويحمى كل واد يرومه      شديد أصول الماضفين مكابر<sup>(٣)</sup>  
 فكرر صفة العبوسة ، وأضاف الشد وانتصاب الجسم ، كما أضاف إلى ذلك  
 شجاعته ، وقدرته على قهر خصمه

(١) الديوان ٩٩ - الهامش : « العبير عند العرب : الزعفران ، تعبؤه : تهيشه وتصنعه وتخلطه ،

الشموس من الدواب : الذى إذا نخس لم يستقر .. »

(٢) الديوان ٥٨ - الهامش « الهامش : الكسر ، وهصر لشيء عطفه وأماله ، والهيصر : الأسد ،

والهصار : الأسد ، وأسد هصور وهصار وهيصر ، ومهصار وهصرة وهصر ومهتصر ، والعنيس :

من أسماء الأسد ، العبوس : الشديد أسد غضنفر : غليظ الخلق .. »

(٣) الديوان ٦٥ - الهامش : « الشموس : الصعب الخلق ، المصلخد : المنتصب قائماً ، الماضغان :

الحنكان لمضغهما المأكول ، وقيل هما عرقان لى اللحيين ، وقيل هما أصل اللحيين عند منبت

الأضراس ، وقيل غير هذا .. »

ومع وصفه بالمنعة ، وحمايته لحماه ، كرر صفة قوة الفم ، أو الحكين والأسنان .

يقول فى القصيدة عينها :

يدل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الأشداق عنها خناجر<sup>(١)</sup>  
فأشار إلى حدة نيوبه ، وشبهها بالخناجر .

والشاعر محق فى وصف نيوب الليث والتركيز عليها ، فالأسد فى تركيب أجزاء جسمه ، ومنها الفم ، مخلوق ، لكى يكون حيواناً مفترساً ، فالفم - كما تذكر المصادر العلمية - يحوى أنياباً قوية للقبض على الفريسة ، يليها قواطع اللحم ، كما أن هناك أسناناً صغيرة فى مقدمة الفم لكشط وإزالة ما علق باللسان الخشن كالمبرد<sup>(٢)</sup> . فوصف الشاعر لفم الأسد «مهصر الناب» و «شديد أصول الماضغين» والأنياب الحداد مثل الخناجر .. إلخ يدل على دقة الملاحظة وروعة التصوير الدقيق .

وجمع الشاعر بين وصف الفم وبين لبذته فى قوله :

ضرغامة أهرت الشديقن ذى لبد كأنه برنسا فى الغاب ملتفع<sup>(٣)</sup>  
فكانه يرتدى برنسا بجانب عظم شدقه وقمه .

ويعيد وصف الفم بقوله :

كأن غضونا من لهاه وحلقه مغار هيام عدملى منهور<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان ٦٦ .

Wonders of Animal life Vol II p. 1134

(٢) انظر :

(٣) الديوان ١١٠ . الهامش : «الالتفاع والتلفع : الالتحاق بالشرب ، وهو أن يشتمل به حتى يجبل جسده» .

(٤) الديوان ٥٩ . الهامش : «الغضون : ما تغضن بعضه على بعض من الجلد الذى فوق حلقه ولهاه ، والهيام : الرمل الذى يتناثر ، والعدملى : القديم ، والمنهور : الواسع ، أخذه من النهر ، وقيل المنهور : المتهدم ..» .

ويكرر وصف سعة الفم بقوله :

رحيب مشق الشدق أغضف ضيغم له لحظات مشرفات ومحجر<sup>(١)</sup>  
فأضاف إلى رحابة الفم تدليه وتهدله ، وتناول نظراته وسعة عينيه .  
ويقول :

وعينان كالوقبين في قبل صخرة يرى فيهما كالجمرتين التبصر<sup>(٢)</sup>  
فشبه عينيه بالجمرتين المتقدتين .  
وكرر جزءاً من التشبيه في قوله :  
كان عينيه في وقبين من حجر قيضا اقتياضاً بأطراف المناكير<sup>(٣)</sup>

فترك صفة النار وأبقى على النقرة في الصخرة ، ولكنه أضاف صفة البروز  
للعينين ، فكأنهما خرجا من محجريهما ، وهو تشبيه جديد ونادر .  
وربط بين عينيه ومخالبه فقال :

برائنه شئن وعيناه في الدجى . كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر<sup>(٤)</sup>  
وأضاف ظهور الشر في وجهه ، وهو مبالغة من العبوس .

ونرى أن وصف الشاعر لقم الأسد من داخله يدل على معاناة ورؤية حقيقية فإما  
أنه رآه وهو يفتح فمه للزئير أو الافتراس ، أو تأمله عن كثب مدة وراقبة فترة ، ورآه

(١) ٥٩ - الهامش : «الشدق جانب الفم ، اللحظة : النظرة من جانب الأذن» .

(٢) الديوان ٦٠ - الهامش : «الوقب في الجبل : نقرة يجتمع فيها الماء ، والوقبة : نقر في الصخرة  
يجتمع فيها الماء . التبصر : التأمل والتعرف» .

(٣) الديوان ٨٠ - الهامش : «الوقب : النقرة في الصخر ، قيضا : شقا وحفرا ، اقتياضا :  
استئصالاً المناكير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ، ينقر بها ..» .

(٤) الديوان ٦٥ - الهامش . «أسد شئن البرائن ، خشنها» .

يتأثب أو نحو ذلك . فوصف وجه الأسد وعينه وشكله ليس بغريب ، أما وصف داخل الفم فيدل على موقف خاص ، وإبداع متميز من الشاعر ، ويقال فى الأمثال والتشبيهات - كما يروى الثعالبي - : « شره الأسد وفم الأسد ، ويضرب الأخير مثلاً للشيء الصعب المرام ، يرثن الأسد .. » (١) .

ويعد يرثن الأسد من أسلحته الهجومية ، وجزء هام من تركيبه الخلقى المعد ليكون حيواناً أكلاً للحم مفترساً . فهى قوة للغاية ، وكما يقول المصدر العلمى - إن مخالفه : « تظل حادة لا يصيبها الفلول لأنها تسحب إلى داخل جراب أو غمد فى أماكنها فى حالة عدم الاستخدام .. » (٢) .

وقد رأينا ربط الشاعر فى تشبيهاته بين الأسد والفرس ، وقد فعل ذلك كثير من الشعراء الجاهليين وغيرهم بل إن اللغة أصلاً ربطت بين الحيوانين :  
يقول صاحب القاموس :

« القراس : الأسد ، فرس فريسته يفرسها : دق عنقها .. » ، وفى اللسان : « فرس الشيء فرساً : دقه وكسره ، وفرس السبع الشيء ، يفرسه فرساً ، وافترس الدابة ، أخذه فدق عنقه ، وفرس الغنم ، أكثر فيها من ذلك .. » (٣) .

ونجد عنتره بن شداد يقول :

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأسد تهتصر اهتصاراً (٤)

ونرى الكلجة العرنى يشبه نفسه فارساً بالأسد ، يقول :

هى الفرس التى كرت عليهم عليها الشيخ كالأسد الكليم (٥)

(١) ثمار القلوب ٣٠٨ .

Wonders of Animal life Vol II p. 1135

(٢) انظر :

(٣) لسان العرب مادة فرس ، انظر المخصص لابن سيده ٦ ، وتاج العروس المادة نفسها .

(٤) ديوان عنتره ٧٧ .

(٥) المفضليات ٣٣ ، وانظر ديوان الأعشى ٢٤٩ ، وعبيد بن الأبرص ٣٤ .

ولكن لو نظرنا إلى ما أورده أبو زيد من ذلك الارتباط نجد الآتى :

أ - أن الشعراء الجاهليين ربطوا بين الأسد والفارس ، وليس بين الأسد والفرس ذاته .  
أى أن أوصافهم أقرب إلى وصف الفرسان المقاتلين منها إلى وصف الخيل فى حين أن أبا زيد ربط بين الأسد وبين الفرس نفسه ، وشبهه به فى أكثر من موضع كما سبق .

ب - أن الشعراء الجاهليين فى التشبيه بالفرس ، كان هذا التشبيه محدد الأركان كما فى المثالين السابقين ، فى حين أن أبا زيد خلط بين الحيوانين خلطاً شديداً بحيث يجده يصف الاثنين معاً ، من ذلك قوله :

|                                |                           |
|--------------------------------|---------------------------|
| إذا تبهنس يمشى خلته وعثاً      | وعى السواعد منه بعد تكسير |
| مبهنساً حيث يمشى ليس يفزعه     | مشمراً للدواهى أى تشمير   |
| أقبل يردى معاً ردى الحصان      | مستعسب أرب منه بتمهير     |
| خان العذار بما فى الرأس من طول | وسير الحبل عنه أى تسيير   |
| وفى القوائم والأقرب باقية      | منه هذاليل تبطين وتصدير   |
| مقابل الخطر فى أرساغه فدع      | ورداً يدفع أوساط العياهير |
| وضاح .. إلخ (١)                |                           |

وهذا لا شك تطور فى التصوير سواء من ناحية وصف الأسد أو الفرس أو ناحية استخدام فن التشبيه .

ويقول :

من الأسد عادى يكاد لصوته رءوس الجبال العاديات تقعر (٢)

(١) الديوان ٨١ - ٨٢ .

(٢) الديوان ٦٠ - فى الهامش : « تقعر : تطلع » .

فانتقل إلى الصوت - الزئير الذى يميز الأسد دون سائر الحيوانات ، وأظهر شدته وتأثيره .

ويقول واصفاً ترديده لصوته فى صدره :

كأن اهتزام الرعد خالط جوفه إذا حن فيه الخيزران المشجر<sup>(١)</sup>

فمزج صورة اهتزام الرعد ، بصورة رجع الزماير ، وهى فى جملة صور رائعة .

وأضاف صورة فريدة غاية فى الروعة ، وجديدة ، قائلاً :

للصدر منه عويل فيه حشرجة كأنما هى فى أحشاء مصدور<sup>(٢)</sup>

مما سبق نرى الآتى :

أولاً : أن هناك أوصافاً للأسد لا تدخل ضمن الصور الجزئية ، لأنها تفتقد التشبيه أو المجاز ، وإن كانت تتميز بالدقة وقوة الملاحظة ، ومع ذلك ، فهى - فى دقتها وتأثيرها - تماثل الصور الفنية مثل قوله :

فلا يعلقنكم مهصر الناب عنبس عبوس له خلق غليظ غضنفر

أو قوله :

عبوس شמוש مصلخد مكابر جرىء على الأقران للقرن قاهر

منيع ويحمى كل واد يرومه شديد أصول الماضفين مكابر

(١) الديوان ٦٠ - فى الهامش : «المشجر : ذو أنابيب ، وقيل المثقب ، جعل أبو زيد الزمار خيزراناً. لأنه من البراع ..» .

(٢) الديوان ٨٣ - وفى الهامش : «أى زئير ، كأنه يشتكى صدره ، العويل يكون صوتاً من غير بكاء ، يريد همام الأسد ، كأنما هى فى أحشاء مصدور» .

ولشدة تأثير الشاعر بالأسد ، وتتبعه له ، وتتابع صفاته فى الأبيات ، واستخدامه الألفاظ التى تعبر عن صفات معينة فى هذا الحيوان ، لشدة ذلك . نشعر وكأن هذه الأبيات صور شعرية جزئية أو خاصة تماثل الصور الأخرى قبلها وبعدها . فالمنبع واحد ، ونشعر بتأثير الشاعر الشديد بما يصفه ، ولذلك فإن لهذه الأوصاف أهمية وقيمة تساوى ما للصور المحتوية على التشبيه أو المجاز ، أى أن الشاعر استطاع - نتيجة ما سبق - أن يرتفع بأوصافه المجردة إلى درجة عالية من الإجادة الفنية من ناحية ، ومن ناحية أخرى امتزجت صورته الجزئية وتقاربت مع ما يشبهها ، فالجزء غير الشاعرى فى النص امتزج تماما مع الجزء الشاعرى ، وخلع الشاعر غلالة من المثالية فى الوصف عليهما جميعاً .

ثانياً : اتجه الشاعر ، فى وصفه للأسد فى صورته الشعرية التى عرضناها اتجاهين :

الأول : الاتجاه الشكلى الجسدى ، وهو أساس هذا النوع من الصور .

الثانى : الاتجاه المعنوى .

الانبناء الشكلى :

ونرى فيه ثمانى نواح فى تصوير الأسد :

الأول : جلد الرأس وما عليه من شعر ، ولبدته ، وهو ما يميز الأسد عن أى حيوان آخر .

الثانية : بيان تماسك الجسم وشدته وقوته .

الثالثة : الفم وما فيه من أسنان وشدقين .

الرابعة : المخالب .

الخامسة : العينان .

السادسة : الوجه بإثارة وعبوسه ... إلخ .

السابعة : الصوت .

الثامنة : المشية أو الخطو .

الاجزاء المعنوى :

ونرى فيه ناحيتين :

الأولى : الجرأة والشجاعة

الثانية : الفخر والمكابرة

ولذا يمكن أن نقول إن مكونات الصور السابقة تعتمد فى الدرجة الأولى على الرؤية المباشرة ، ويحتل السمع المرتبة الثانية . ولكن الرؤية هنا ليست كرؤية إنسان لزهرة أثناء تجوله فى حديقة ، بل رؤية اعتمدت على المتابعة ودقة الملاحظة والاهتمام الشديد بوصف كل ما يراه الشاعر من دخائل الأسد وتصويره والتفصيل فيه أكثر من مرة أو مناسبة ، ومع أن الصورة جزئية ، فإننا نرى فيها مجتمعة لأكثر من رؤية واحدة ، فالشاعر - لاشك - رأى هذا المنظر أكثر من مرة حتى ثبت فى ذهنه ومخيلته ، فليس من السهل وصف فم الأسد ، أو أمتانه ونحو ذلك فى رؤية واحدة ، والأسد من الحيوانات التى لا يسهل وصفها أو مراقبتها ، فالصورة الواحدة وإن كانت محدودة بمشبه ومشبه به أو «جزئية» فإنها من حيث القيمة ، أقوى من مجرد هذا التحديد ، أو من عقد صلة بين شيئين رآهما الشاعر وأعجب بهما وعقد بينهما علاقة .

هذا يعنى - ببساطة شديدة - أن للذاكرة عند الشاعر دوراً فى تكوين صوره ، يقول الدكتور مصطفى ناصف : «تتضمن ذاكرة الشاعر آثار الصلة الحسية المباشرة بالعالم بمجموعات كثيرة من الصور»<sup>(١)</sup> ، ويقول : «الذاكرة التى تمارس بطريقة خاصة هى هبة الشاعر الطبيعية ، فالشاعر إنسان يستطيع أن يجدد العهد بتأثرات حسية معينة ، كما لو كانت تحدث أول مرة ، وليس الخيال نفسه ، إلا من أعمال الذاكرة ، إذ لا شىء مما نتصوره ، لم نكن نعرفه - بوجه ما - من قبل ، وقدرتنا على الإدراك هى

(١) الصورة الأدبية ٣١ .

قدرتنا على أن نتذكر ما مارسناه ، لنستخدمه فى موقف آخر متميز ، فكل شاعر عظيم أوتى ذاكرة قوية تمتد إلى ما وراء التجارب الضخمة ، إلى ملاحظات ضئيلة دقيقة فى خارج التراكز الشخصى ..<sup>(١)</sup> فإذا أمعنا النظر فى إحدى تلك الصور الجزئية السابقة لأبى زبيد نجد أنها فى حقيقة الأمر ليست وليدة الساعة إلا من حيث الصنعة فقط أما مكونات الصورة فهى لاشك وليدة عدة تجارب سابقة مجمعة ، وخاصة إذا كرر الشاعر هذه الصور ، وأصر على موصوف عام واحد وهو هنا الأسد ، وبعبارة أخرى فإن تلك الصور التى نراها صنعت الآن أو التى أثرت فىنا فور قرائتنا للقصيدة ، وظهرت فى شكل مرتب منسق يجمع بين مشبه ومشبه به ونحو ذلك ، تلك الصور هى أشقات مجتمعات للقطات سابقة فى الذاكرة كونها تجارب الشاعر المستمرة . يقول رشاردز : « آثار التجارب الماضية هى التى تخلع على السلوك نظاماً ونسقاً ولولا تدخل هذه الآثار لما استطعنا أن نتعلم من تجارب الماضى ».<sup>(٢)</sup>

بناء على ما سبق من الحديث عن الذاكرة نقول بأن كل صورة جزئية من صور أبى زبيد السابقات تعد قطعة أو جزءاً من تجربة سابقة ، ولكن لم تصل إلينا التجربة ذاتها ، ولم يذكرها الشاعر كما حدثت ، وإنما آثارها علقته بذهنه فجمعها وعرضها فى شكل الصور المشار إليها ، بمعنى أن ما حدث للشاعر فى عدة لقاءات مع الأسد ، لم يعبر عنه بصورة مباشرة فى هذا النوع من الصور ، بل جعل تلك الأوصاف التى أوردها ، والتى تركز على صفات معينة فى الأسد ، جعلها تعبر بصورة غير مباشرة ، أو إيحائية عن تلك اللقاءات أو التجارب ، ولتنظر إلى ما يقوله دى . سى لويس : « لقد اخترت التشبيه والحجاز اللذين يقفان دائماً على الطرف المعاكس من الصور الشعرية (إن حجبى هو أشبه بالوردة الحمراء) والحمراء تشبيه تقليدى ، أكثر بقليل من الرمز ، وأن غناه مستقى بصورة كبيرة من سياقه وخصوصاً الأبيات الثلاثة التى تلى ذلك - رغم أن تكرار كلمة حمراء يعطى التعبير حياة خاصة ، أما بيت

(١) المصدر نفسه ٣١ .

(٢) مبادئ النقد الأدبى ١٥٤ .

«ميرديث» من الناحية الأخرى ، فلا يمثل مجرد صورة كاملة بحد ذاته ، ولكن جزءاً كاملاً وتاماً من التجربة ، جزءاً من تجربة كاملة يمكن إعادة تركيبه ..»<sup>(١)</sup>.

لذلك نقول إن القيمة الفنية للصورة الجزئية عند أبي زيد «قيمة» مزدوجة ، أى أنها صورة جزئية فى حد ذاتها ، تقوم أولاً على ما تعقده من علاقات عن طريق التشبيه أو المجاز وتثير إعجابنا للتو واللحظة عند قراءتنا لها ، وثانياً وفى الوقت ذاته تعد - نتيجة للتكرار والتشابه - جزءاً من تجربة شاملة ، أو تجارب متشابهة متتابعة ، عانى منها الشاعر وصورها لنا من خلال هذه الجزئيات ، وبعبارة أخرى هى صور تبين الواقع الآن كما هو عليه . ولكن فى الوقت نفسه توحى لنا بالتجارب السابقة وما وراء هذا الواقع ، وكما يقول هيوم : «إن مهمة الشاعر هى رؤية الأشياء كما هى عليه ..»<sup>(٢)</sup> ، ولكن مع هذا الوضع الصادق المصور الدقيق الآن ، نشعر بالتجارب وراء هذا الآن ، إن صح التعبير ، أى أن هناك نوعاً من الرمز أو الإيحاء فى صور أبي زيد الجزئية من هذه الناحية ، وإن كنا لا نستطيع أن نحملها أكثر من ذلك .

ثالثاً : إذا كان الأمر كذلك ، فإن هذه الصور الجزئية المتقاربة تتجه - كما نرى - نحو هدف واحد محدد ، وهو التعبير بصورة غير مباشرة عن التجارب السابقة وعن المعاناة أيضاً ، أى لم تكثف بالتعبير وبالإيحاء بتجارب سابقة ، بل بعاطفة داخلية تحمل بعداً نفسياً قوياً يتمثل فى المعاناة ، وهذا هو سر العاطفة المؤثرة فى هذه الصور، فالتجارب السابقة ، ولقاءات الشاعر مع الأسد كونت أساس الصورة الجزئية ، وجعلتها موحية رامية إلى تلك التجارب ، وعبرت عن مدى قدرة الشاعر فى تجميع مدركات سابقة زمنياً فى لقطة ، أو لقطات مجازية حالية ، أما المعاناة ، وما لقيه الشاعر فى هذه التجارب من تأثير نفسى فقد أضافت إلى الصور بعداً نفسياً عميقاً عند الشاعر ، وأضافت إلى إعجابنا بتشبيهااته وما توحى به من تجارب مثيراً عاطفياً قوياً يعود مباشرة

(١) الصورة الشعرية ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢٨ .

إلى تلك المعاناة ، كما ذكرت ، يقول : دى سى لويس : «إن الصورة الشعرية هي صورة حسية فى الكلمات وإلى حد ما مجازية ، مع خط خفى من العاطفة الإنسانية فى سياقها ، ولكنها مشحونة بإحساس ، أو عاطفة شعرية خاصة تنساب نحو القارئ»<sup>(١)</sup> ويقول : «لماذا يثير عواطفنا التشبيه أو المجاز ؟ ولماذا يوحى لنا بالمتعة أن نتصور جبيننا كالوردة الحمراء ؟ ولماذا يعاد بناء توازننا النفسى عندما يلاحظ الشاعر أن الوادى يزداد ظلاماً والنسيان يزداد أكثر فأكثر ؟ ..»<sup>(٢)</sup> وسر متعتنا فى صور أبى زيد ليس فى ظهور العاطفة المحددة المؤقتة التى عقدت التشبيه أو المجاز أو آثارها التشبيه أو المجاز ، وإنما فى شعورنا بالمعاناة والإحساس العميق بما مر به الشاعر مع هذا الحيوان وعبر عنه فى أكثر من صورة .

جعلنا الشاعر نشعر بهذه المعاناة عن طريق الإيحاء أو الرمز وليس مباشرة أى أننا لا نرى معاناة مباشرة ، قدر ما نرى آثاراً لها نفسية وواقعية ، فالشاعر لا يصف لنا تجربة أرققتها ، وإنما يصف آثارها ، ولا نقول استعادة لها ، وإنما إيحاء بها . فكل جزئية تصويرية للأسد تحمل فى طياتها جزءاً من هذه المعاناة التى حدثت سابقاً فى شكل تجارب كما أشرت ، فأوصاف الشاعر لهذا الحيوان لم تأت من فراغ ، ولم تأت من حكايات وقصص سمعها ، بل أتت من تجارب معه واستطاع أن يحول تلك التجارب الوقتية إلى صور دائمة ، واستطاع أن يقدم لنا صوراً ليست منفصلة عن ذاته ، فهو لا يصنمه وهو بعيد بل يصفه وهو معان منه . استطاع أن يفتت تلك التجارب وينثرها فى جزئيات تصويرية متلاحقة مترابطة موحية فتجد : اللبدة — المشية — الوجه — الفم — الأسنان — الصوت — العينين .. إلخ ، ولذلك لا نرى تفصيلاً فى الصفة الواحدة ، لأن التفصيل يفقد الصورة تأثيرها السريع المباشر الموحى بالمعاناة السابقة ، فإذا فصل الشاعر فى صفة وألح عليها فى أكثر من بيت أعاد المعاناة . لم يوح بها ، وشتان ما بين الأمرين أو كما يقول أودنيس : «إن الشعر لا يكون إلا

(١) المصدر نفسه ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢٦ .

حيث تكون المعاناة ، وفي هذه المعاناة تبطل اللغة أن تكون نسقاً لفظياً بيانياً وتصبح حالة إيحائية ، وهكذا يصبح الشعر تعبيراً عما كان لا يعبر عنه ، عما كان خفياً مجهولاً . ليس الشعر ، والحالة هذه ، شكلاً ، أو مصطلحاً يفرض من الخارج ، وإنما هو فى المقام الأول حالة داخلية فى ذات الشاعر ، فى دخیلاته ، أى هو نوع فريد من الشعور والرؤيا .. (١) .

لهذا حرص الشاعر رغبة فى الإيحاء بهذه المعاناة على تصوير الرعب فى جزئيات الصور التى أوردها ، فالشدة والتنكيل والشيطنة .. إلخ هى العلاقات الأساسية فى الوصف وهو لا يبالغ فى صوره لأنه - كما ذكرت من رأى هيوم - يصور الحيوان كما هو عليه لكى يكون ذلك عذراً له من معاناته ، فكأنه يقول إنى أصور لكم هذا الحيوان بهذه الصفات على حقيقته لكى تعرفوه ، وتعذرونى فى معاناتى منه . أو كما قال هوغو ، الحقيقة : « لو رأيتم منه ما رأيتم ، أو لقيتم منه ما لقيتم » « أكرر » لما المتونى .. فاستطاع أن يجمع بين صدق الوصف ودقته ، مع استخدام التشبيه أو المجاز ، مع الإيحاء بتلك العاطفة القوية وهى المعاناة . يقول دى مى لويس عن الصورة الشعرية إنها « فى أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات ، إن الوصف والتشبيه والمجاز يمكن أن تخلق صورة أو إن الصورة يمكن أن تقدم إلينا فى عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض ، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئاً أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية ، إن كل صورة شعرية لذلك ، هى - إلى حد ما - مجازية ، إنها تتطلع من مرآة لا نلاحظ فيها وجهها ، بقدر ما نلاحظ بعض الحقيقة حول وجهها .. » (٢) ويقول : « بالطبع يجب أن يرى الشاعر الأشياء كما هى ، ولكن لا شئ يمكن أن يؤخذ منعزلاً ومنفرداً ومكتفياً ذاتياً ، إن الواقعية تتضمن العلاقة وحالما تملك العلاقة بالنسبة للبشر ، فستكون عندك العاطفة ، فلذلك لا يتمكن الشاعر أن يرى الأشياء كما هى على

(١) مقدمة للشعر العربى ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢١ .

حقيقتها ، ولا يستطيع أن يكون دقيقاً تجاهها ، مالم يكن دقيقاً فى المشاعر التى تربطه بها ، إنها الحاجة إلى التعبير عن العلاقة بين الأشياء ، ثم بين الأشياء والمشاعر ، تلك الحاجة التى تدفعه للاستعارة .. (١) .

إذا كان حرص الشاعر على إبراز جوانب من الأسد تبرر معاناته منه ، فهذا يعنى أن الشاعر استطاع أن يرسم لنا صورة عامة للأسد ، والصورة العامة - كما عرفناها موضع آخر - هى وصف شئ ، فى عدة أبيات ، كل بيت يشمل جزئية من هذا الموصوف ، وليس بين تلك الجزئيات بعضها البعض علاقة عضوية ، والجامع الوحيد بينها شئ الوصف هو أن الموصوف واحد ، كما فى وصف طرفة بن العبد للناقة . وأبو زيد فى أوصافه للأسد الجزئية المتفرقة جعل منها صورة عامة للأسد ، لكنه فاق طرفة ابن العبد فى التعبير عن المعاناة أو الإيحاء بها ، لأنه لم يستقص كل جزئيات الأسد ، وإنما ركز - كما رأينا على صفات محددة تبرر - كما قلت - هذه المعاناة ، وهذا هو الإدراك فى مفهوم الخيال الشعرى عند كولردج ، كما يشير أستاذنا الدكتور محمد زكى الشماوى (٢) .

لو قلبنا المنظار - إذن - ونظرنا من الناحية المقابلة ، أى إلى الأسد ذاته ، لرأينا أن تلك الصورة العامة للأسد التى رسمها لنا أبو زيد حققت أمرين :

### الأول : المثالية

### الثانى : الثبات

والمقصود بالمثالية ليس النموذجية ، وإنما تصوير المثال ، فدقة الوصف مع التركيز على صفات معينة مع تقارب الصور ، وتجميعها لكى تصف حيواناً واحداً بهذا التكرار والتفصيل ، كل ذلك كون لدينا مثلاً لهذا الحيوان ، أو المثال الذى يريده من يطلب صفات الأسد مجمعة ، وكما أشرت إلى أن أبا زيد ركز على صفات معينة

(١) المصدر نفسه ٢٨ - ٢٩ .

(٢) انظر قضايا النقد الأدبى والبلاغة ٦٦ .

فى الحيوان يريدھا ، وترك ما عداھا . فإن هذا التركيز دعم هذا المثال ، فترك أبو زيد كل ما قيل عن الأسد ، لم يذكره ، ولم يدخله فى صوره ، لأنه رأى أن ذلك يخالف المثالية التى أرادھا . فهناك من الروايات ما يظهر أن الأسد « يذعر من صوت الديك ، ومن نقر الطست وحسن الطنبور ، ويفزع من رؤية الجبل الأسود ، والديك الأبيض والسنور والفارة ، ويدهش لضوء النار ، ويعتره ما يعترى الظباء والوحوش من الحيرة عند رؤيتها ، وإدمان النظر إليها ، والتعجب منها ، حتى يشغله ذلك عن التحفظ والتيقظ .. »<sup>(١)</sup> إلى آخر ذلك ، وعندما وصف أبو زيد أعضاء جسم الأسد التى يبدو منها الرعب مثل العينين والفم والأسنان .. إلخ لم يتطرق إلى بعض الأوصاف التى ذكرت فى هذا الاتجاه ، فيروى أبو حيان التوحيدي : « الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .. »<sup>(٢)</sup> وأن « عظامه جاسية جداً ، وإن ذلكت بعض عظامه ببعض ، خرجت منها نار كما تخرج من الحجارة .. »<sup>(٣)</sup> وأنه « إذا أكل كلباً ، فإنه يكون قد ضرس ، فيزول ذلك .. »<sup>(٤)</sup> ، وأن الأسد « إذا افترس فريسة ، ولم يأكلها ميز أن رائحتها منتنة جداً .. »<sup>(٥)</sup> ، ولذلك - كما أشرت - اقتصر وصف أبى زيد على ما يريد إبرازه فحسب ، وليس استقصاء لكل أوصاف الأسد ، ولذلك نرى العكس ، إذا تطرق للصفات المعنوية ، لأنها صفات مطلوبة فى المثال . يقول الثعالبي : « جراءة الأسد ، راكب الأسد ، ويضرب مثلاً لمن لا يهاب ، داء الأسد ، وهى الحمى التى كثيراً ما تغزو الأسد ، حتى إنه قل ما يخلو منها ساعة .. »<sup>(٦)</sup> .

أما الثبات « فيعنى أن تجميع ما قاله أبو زيد عن الأسد من صوره الجزئية

(١) نهاية الأرب ٩ : ٢٣١ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٦٤ .

(٣) المصدر ذاته ١ : ١٦٨ .

(٤) المصدر ذاته ١ : ١٧٢ .

(٥) المصدر ذاته ١ : ١٧٨ .

(٦) ثمار القلوب ٣٠٧ .

السابقة يؤدي إلى تكوين صورة عامة ثابتة للأسد تصلح لكل زمان ومكان ، فالصورة الجزئية تلك أشبه باللقطات المتنوعة التي تلتقط على فترات مختلفة ، تجمع صورة لهذا الحيوان «ثابتة» على مر الزمن ذات تركيز على ناحية معينة فيه . هذا الثبات كونه التجارب التي مر بها الشاعر مع الحيوان ، وهذا ما أشار إليه ريتشاردز في حديثه عن الذاكرة ، ووضع تصور خاص لها قائلاً :

«وميزة تصورنا أنه يخلصنا من عيوب التصور القديم ، فيقول إنها المجموعة التي تحدث وضع ثبات ، أو استقرار ، كما أنه يحاول أن يفسر قدرتنا على التعرف على الشيء الواحد ، على الرغم من ظهوره لنا في أوضاع متعددة متباعدة ، ففي كل مرة يظهر لنا فيها الشيء ، يحدث ظروف مختلفة ، ومع ذلك ، فهذه الظروف ، تؤدي إلى نفس وضع الثبات أو الاستقرار الأصلي ..» (١) .

#### صور أبي زيد الجزئية - ٢

يتابع الشاعر صوره الجزئية في وصف الأسد ، ولكنه في هذه المجموعة لا يركز على «أوصاف الأسد» في شكله وأعضائه ونحو ذلك - كما رأينا من المجموعة السابقة - قدر ما يركز على تصوير عودته إلى عرينه بعنيمته لأسرته ، ويصف داخل العرين وصفاً دقيقاً ، فنجد آثار الدماء وبقايا اللحم ، ويتبع الشاعر ذلك بوصف معيشته داخل بيته وعلاقته بصغاره وأمههم ونحو ذلك . أي أننا نرى صورة أقرب إلى العائلية منها إلى «المثالية» . وهذا الاتجاه في التصوير الجزئي يعتبر نهاية عضوية أو طبيعية للنوع الذي نتحدث عنه فيما بعد ، وهو تصوير القافلة ، وهجوم الأسد عليها . ولذلك أشرت سابقاً إلى أن صور أبي زيد بأنواعها ، تطور تطوراً عضوياً كالاتي : وصف الأسد في أعضائه وشكله وقوته .. إلخ — تعرضه للقافلة — عودته إلى عرينه بالغنائم . فتشكل من ثم ، الصور الجزئية بداية ونهاية لتصوير الأسد بعامة في هجماته على القوافل .

(١) مبادئ النقد الأدبي ١٥٦ - ١٥٧ .

تتجه الصور الجزئية التي نحن يصددها الاتجاهات الآتية :

**الاتجاه الأول :** وصف بقايا التنكيل وآثاره من ملابس ودماء ونحوه يقول :

ومن فلائل هام القوم محتلقاً بمستحى من أمين الجلد إتعاباً  
ومن سرايل أهباب مضرجة بصائك من دم الأجواف قد راباً<sup>(١)</sup>  
ففرى قشر الأسد لجلد رءوس البشر ، فكأنه قد حلق من الشعر ، ثم يصف  
كأن الأسد يرتدى سرايل من دم ضحاياه ، وهذا الدم قد غلظ وصار له ربح .  
ويكرر المعنى ذاته تقريباً في قوله :

على جناجنه من ثوبه هيب ومن دم صائك مستكره دفع  
كأنما هو في أهذاب أرملة مسرول وإلى الإبطيين مدرع<sup>(٢)</sup>

ففصل في ثوب الدماء وجعله سابقاً مانعاً ، ثم أضاف التشبيه بعد ذلك .  
ويقول :

يظل مغباً عنده من فرائس رفات عظام أو غريض مشرر<sup>(٣)</sup>  
فيصور بقايا الفرائس من رفات العظام واللحم المقطع ، وقد أنتنت وتغير  
ريحها .

(١) الديوان ٣٩ . الهامش : « أهباب : أخلاق من الشيا ، الصائك : الدم الذي له ربح ، راب : أى غلظ كما يروب اللبن .

(٢) المصدر ذاته ١١٣ ، الهامش : « الهيب : مفرد ما هبة ، وهى الحرقه ، وثوب أهباب : أى قطع ، والهاء فى جناجنه تعود على الأسد ، والهاء فى قوله : من ثوبه هيب ، تعود على الراكب . الصائك : اللازق .

(٣) المصدر ذاته ٦٠ ، وفى الهامش : « يقال أغب اللحم إذا أنتن ، وغب أيضاً . الرفات : العظام من كل شيء تكسر . غريض : طرس ، المشرر : المقطع من شرشرة الشيء : تشقيقه ، وتقطيعه .

الاجزاء الثانى : وصف أشباله ، وأمهم وعلاقته بهم .

يقول :

يقوت فيها لحام القوم شيعته      وردين قد آزارا حصاء مسغابا<sup>(١)</sup>  
يصف إطعامه لشبليه اللذين أضناهما الجوع بسبب الجذب والانتظار .

ويقول :

بثنى القسريتين له عيال      بنوه وملمع نصف ضرروس  
غذين بكل متعفر سليب      يجاء به وقد نسل الدريس<sup>(٢)</sup>  
فوصف اللبوة ووضعها ، وسنها ، والأشبال وغذاءهم ، وحالهم .

ويقول :

بالثنى أسفل من جماء ليس له      إلا بنيه وإلا عرسه شيع<sup>(٣)</sup>  
فأضاف المكان ، وذكر اللبوة والأشبال أيضاً .  
ويقول فى صورة رائعة فى القصيدة نفسها :

أبر شتيمين من حصاء قد أفلت      كأن أطباءها فى رفعها رقع  
أعطتهما جهدها حتى إذا وحت      صدت وصد فلا غيل ولا جدع

(١) المصدر ذاته ٤٠ ، وفى الهامش : « الحصاء : السنة الجديدة القليلة الثبات ، وقيل الحصص : أن ينكسر الشعر ويقصر ، فيقال لحية حصاء ، ورحل أحصى . لحم القوم يلحمهم : أطعمهم اللحم . ولحام جمع لحم .

(٢) الديوان ٩٤ ، وفى الهامش : « الثنى : العقبة ، والملمع : قد قاربت أن تضع فأشرق ضرعها ، ضرروس : عضوض يريد لبوة ، نصف : ليست شابة . نسل : سقط ، الدريس : خلتان الشباب .. » .

(٣) الديوان ١١١ .

ثم استفاها فلم تقطع فطامهما      عن التصيب لا شعب ولا قدع  
 وردين قد أخذنا أخلاف شحمهما      ففيهما عزمة الظلماء والجشع  
 غذاهما بلحام القوم مذ شدنا      فما يزال بوصلى راكب يضع<sup>(١)</sup>

فوصف الشبلين بأنهما قبيحا الصورة ، ثم فصل فى وصف اللبوة : شعرها أطباتها ، جهدها ، وحامها وإرضاعها لصغيريها ، ومراعاتها لهما ، ثم وصف هذين الشبلين بأنهما بدءا ينموان ، وبدأ عليهما بوادى الافتراس ، وما يزال الأب يأتى لهما بالطعام من حين إلى حين بأجزاء من أجساد افترسها .

هذا بالإضافة إلى ما سنتناوله من الصور من النوع الثانى ، والتي غالباً ما تنتهى بعودة الأسد بعد المعركة إلى خدرة بفرائسه إلى أسرته التى فى انتظاره .

يبقى هناك مناسبة فريدة ذكرت فى الديوان وغيره - كما أشرت فى موضع سابق - تعرض فيها الشاعر لوصف اللبوة وأشبالها مع الأسد ، وذلك عندما ذهب كلبه «الأكدر» إلى عرين الأسد مجترئاً عليه ، فكانت النتيجة أنه وقع فريسة بين أنيابه ، يقول :

فجال أكدر مختالا كعادته      حتى إذا كان بين الحوض والعطن  
 لاقى لدى ثلل الأطواء داهية      أسرت وأكدر تحت الليل فى قرن  
 حطت به سنة ورهاء تطرده      حتى تناهى إلى الأهوال فى سنن  
 إلى مقارب خطو الساعدين له      فوق السراة كذفرى الفارح الفضن

(١) الديوان ١١٢ - ١١٣ ، وفى الهامش : «شتيعين ، قبيحى المنظر ، والرفع أصل الفخذ . أفلت: حملت ، وقال أبو الهيثم : أفلت الموضع : إذا ذهب لهنها ، وبه فسر قول أبى زيد . حصاء : سقط شعرها . الفيل : أن ترضع المرأة أولادها وهى حامل . جدد : سوء الغذاء . الاستفاة : شدة الأكل بعد قلته ، والتصيب : اكتساء اللحم للسمن بعد الفطام . والقدع : أن تدفع عن الأمر تريده . الوصل : كل مفصل تام ، مثل مفصل العجز من الظهر ، يضع : يعدو» .

|                             |                                            |
|-----------------------------|--------------------------------------------|
| ريال ظلماء لا قحم ولا ضرع   | كالبغل خط به العجلان فى سكن                |
| فأسرها وهما سنا همومهما     | إلى عرين كعش الأرملة اليفن                 |
| هذا بما علقت أظفاره بهم     | وظن أكدر غير الأفن والحنن                  |
| حتى إذا ورد الغروال وانتبهت | لحسة أم أجر ستة شزن                        |
| باد جناجنها حصاء قد أفلت    | لهن يهرن تعبيراً على مدن                   |
| وظن أكدر أن تموا ثمانية     | أن قد تجلل أهل البيت باليمن                |
| فخاف غرتهم لمادنا لهم       | فحاص أكدر مشفيا من الوسن                   |
| بأربع كلها فى الخلق داهية   | غضف عليهن ضافى اللحم واللبن                |
| ألقاه متخذ الأنياى جنته     | وكان بالليل ولاجاً إلى الجن <sup>(١)</sup> |

فالقصيد تضحكى قصة تسلل الكلب إلى عرين الأسد ، حيث وجد جراءة  
الشمانية فظنهم صيداً سهلاً ، ولكن ما لبث أن انقض عليه الوحش ، فكانت نهايته .

---

(١) الدهوان ١٣٨ - ١٤١ ، وفى الهامش : «العطن : مبرك الإبل حول الحوض ، الثل : جمع ثلة ، وهو ما أخرج من تراب البئر ، الأطواء : جمع طوى وهو البئر المطوية بالحجارة ، يقول : سرت الداهية مع أكدر فى قرن واحد ، والقرن : الهبل الورهاء : الخرقاء . يقول دفعت به خطة حقاء جمعت تسوق به . السراة : بالفتح : الظهر وأعلى كل شىء ، القحم : الكبير السن ، يقابله الضرع (بالتحريك) وهو الصغير ، فأسريا : يعنى الأسد والكلب . سنا همومها : وجها همها ، الأرملة : الفقير المحتاج ، اليفن : الشيخ الكبير . الأفن : ضيف الرأى . الحقن : الباطل ، وحرك التاء للضرورة . أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها اللبوة ، الجنان : عظام الصدر ، والحصاء : القليلة الشعر ، يقول : قد حسب أكدر . لتمام عدد هذه الجراء ثمانية . أنه بصيدها يجلب لأهله نعيماً وعزاً . تجلل : اكتسى . اليمن : جمع ينة ، وهو ضرب من برود اليمن . حاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص . الجنن : الميت أو القبر » .

### من هذه الصور الجزئية نرى الآتى :

أولاً : أن الشاعر راقب الأسد مراقبة طويلة ، سواء فى المعركة ، أو فى عودته منها ، أم فى بيته مع أسرته ، ويدل هذا الوصف ودقائقه على مراقبة ومعرفة بأحوال الحيوان ، وبذلك مزج الشاعر صورة القوة والعنف والحركة بالصورة الهادئة التى تلائم الموقف ، أو مزج الناحية الافتراضية الرعبية وما يظهر منها فى الأسد بالناحية الأسرورية . وعلاقة الأسد بأولاده وأمهما ، فمع وصف الدماء والعظام وبقايا الفرائس ، استطاع الشاعر أن يتجه بنا وجهة أخرى تخفف من الأمر ، ولكن لا تخفف من قيمة الأسد عنده ، أو تقلل من مثاليته .

نستطيع أن نقول إن تجربة الشاعر مع الأسد فى المجموعة الأولى من الصور الجزئية ، تختلف عنها هنا إلى حد ما ، فمع المعاناة والآثار النفسية التى تركها الأسد فى الشاعر وعبر عنها فى وصفه له وتكرار ذلك ، فإن التجربة هنا فيها اختلاف ، أى لا بد أن يتوفر لنا - كما يقول رتشاردز عن صفات الناقد - «القدرة على التمييز بين تجربة وأخرى على أساس ما تتميز به التجربة من صفات عميقة غير سطحية ..»<sup>(١)</sup> ، وبالتالي نتطرق إلى قيمة الصورة فى المجموعة الثانية التى نرى فيها أن المعاناة ، وإن كانت مستمرة فإنها فقدت الجانب «الرعبى» وحل محل ذلك - حالة من الهدوء تسود الصورة بجانب الحالة الأسرورية البيئية ، وهذا يرتبط - إلى حد ما - بإحساس الشاعر عندما يمدح صوره ، وإحساس المعاناة خاصة عند أبى زيد أكثر من أى شىء آخر ، يقول رتشاردز : «ليست هناك علاقة لازمة بين الصفات الحسية للصور ، بين حيويتهما ووضوحها ودقة تفاصيلها ، وما إلى ذلك ، وبين الآثار التى تولدها ، فقد تكون لصور مختلفة فى هذه النواحي آثار متشابهة جداً ، لقد بالغ النقاد فى أهمية الصفات الحسية للصور ، فالذى يضافى على الصورة فاعليتها ، ليس هو حيويتهما ووضوحها ، بقدر ما تتميز به هذه الصورة من صفات باعتبارها حدثاً عقلياً له علاقة خاصة بالإحساس ،

(١) مهادى ، النقد الأدبى ١٦٦ .

فالصورة أثر خلفه الإحساس على نحو لم يمكن تفسيره حتى الآن .. (١).

لكن تجربة المعاناة ، أى ما مر به الشاعر من تجارب سببت المعاناة . وما زال متأثراً بها ، هى التى حدثت به إلى هذا النوع من التصوير أيضاً . فما سر تتبع الشاعر لهذا الحيوان ، وإصراره على مراقبته ومعرفة تفاصيل ما يفعل داخل عرينه ؟ إذن هناك حالة شعورية معينة عنده لا يستطيع الفكك منها . وإن اختلفت أشكال الصور ، فهو لا يذكر لنا تجربة محددة ، ولا حادثاً معيناً وإنما يصور ما نشعر أن وراءه حالة معينة من الشعور ، يقول ريتشاردز : «إن الشيء الذى يهمنا هنا ليس هو الذاكرة بمدلولها الضيق ، أى القدرة على تأريخ الحدث وحفظه فى المكان الخاص به ، وإنما هو القدرة على بعث التجربة الماضية بحرية . ولا تعنى القدرة على بعث التجربة تذكر تاريخ حدوث التجربة ، ومكانها ، وكيفية حدوثها ، وإنما تعنى مجرد القدرة على استرجاع الحالة الشعورية الخاصة بهذه التجربة ..» (٢) .

ثانياً : هذه الصور - كما ذكرنا - تبين لنا مدى معاناة الشاعر ، والمعاناة هنا هى التى أعطت الصور قيمتها وحيويتها ، وكما ذكرت أيضاً أن الشاعر لم يذكر لنا تجربة بعينها ، كما أنه لم يشر إلى أماكن المعارك التى ذكر فيها لقاء الأسد مع القافلة - كما سنرى فى النوع التالى من الصور - وهذا بخلاف ما أثر عن العرب وشعرائهم من الاهتمام بأسماء المواضع والأماكن فى القصيدة . ولئن كان الشاعر الجاهلى يعدد ذكر الأماكن فى قصيدته ، وخاصة فى الأطلال ، فإن الروايات ذكرت أماكن متعددة تسكنها الأسود ، وذكرت لها أسماء وصفات ونحو ذلك ، فكان يمكن للشاعر أن يشبه بها ، أو يذكر منها أمثلة ، ولكنه عزف عن هذا كله ،

(١) المصدر نفسه ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٠ .

فالأرض التى تسكنها الأسود تسمى مأسد ، يقول السهيلي - كما يروى صاحب خزانة الأدب - : «المأسدة : الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المسبعة ، الأرض الكثيرة السباع ..»<sup>(١)</sup> ، ويذكر أبو العلاء المعرى : «عثر : موضع يعرف بكثرة الأسد ..»<sup>(٢)</sup> ، ويروى أبو العلاء أيضاً : «والصبيرة : كثيرة الأسد ، وكان فيها بعض السنين أسد يقال له الصبيرى ، تتناذر العرب ، لا يقام له دهاء وجرأة ..»<sup>(٣)</sup> ، ويقول ابن رشيقي القيرواني : «أسد خفية وأسد خفان ، وهما أجمتان من العذيب على ليلة ..»<sup>(٤)</sup> ويحكى الثعالبي : «ليث عريسة ، وليث عفرين ..»<sup>(٥)</sup> ونحو ذلك .

\* \* \*

---

(١) خزانة الأدب ٦ : ٢١٩ .

(٢) الفصول والقايات ١٠٣ وانظر الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ٢٤١ .

(٣) رسالة الصاهل والشاحج ٦٢٥ .

(٤) العملة ٢ : ٢٣٠ .

(٥) ثمار القرب ٣٠٥ .

## ثانيا : الصورة الكلية

وهى - كما عرفنا فى موضع آخر<sup>(١)</sup> - مجموعة من الصور الجزئية المتتابعة تربط بين بعضها البعض ، إما حالة نفسية مستمرة فيها كلها ، تبدو فى أعماق الصورة، وتشكل فى مجموعتها بعداً نفسياً واحداً للآيات ، وإما فكر فلسفى معين يشملها جميعاً ، أو كلا الأمرين معاً ، بالإضافة إلى كلية التجربة الشعرية ، والخروج بها من الذاتى إلى الجماعى ، ومن الجزئى إلى الكلى ، ومن الوقتى إلى الدائم الأبدى ، بحيث تشكل هذه الصور الجزئية فى مجموعها صورة كلية مكونة من جزئيات مترابطة لا نستطيع فصل واحدة عن الأخرى أو تقديم إحداها على غيرها ، وبذلك تقوم هذه الصورة الكلية بدور هام وفعال فى تكوين الوحدة العضوية للقصيدة بعامة .

فهل استطاع أبو زيد الطائى فى صوره الشعرية أن يحقق ذلك ؟

نستعرض الآن مجموعة من الصور التى تحتوى أكثر من جزئية ، أو مستمرة فى عدة آيات ، وهى مرحلة التعامل مع الأسد ، فبعد أن بينا صوره الجزئية المنفردة فى وصف الأسد يبدأ الشاعر فى تصوير تعرض الأسد للقوافل والتعامل معها ، أى انتقال من مرحلة الوصف الثابت على نحو ما عرفنا إلى مرحلة الوصف الحركى ، كما سنرى .

\* \* \*

---

(١) انظر كتابنا : الصنعة الفنية فى شعر المتنبي ١٧١ وما بعدها ، ٤٨٧ وما بعدها وكتابنا : الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى - شعره ٢ : ١٢٥ وما بعدها .

## صور أبى زيد الكلية

### صورة - ١

كأنما كان تأيها ليأتيهم      فى كل أبعاده يدنو تقربا  
وثار إعصار هيجا بينهم وجلوا      بضىء محراثهم جمرأ وأحطابا  
وما مغب بثنى الحنو مجتل      فى الغيل من ناعم البردى محرابا<sup>(١)</sup>  
تطرق الشاعر إلى ذلك اللقاء ، فيذكر أن زجر القوم له عندما رأوه ، لم يؤثر فيه ،  
بل ازداد اقترابا ، وكأنهم بهذا الزجر يدعونه للاقترب ، وبذلك أثار الرعب وسطهم ،  
ركأن عاصفة من المعركة شملتهم ، وهذه طبيعة الأسد ، فعربنه فى غيله ليس محرابا  
يستكين فيه ، بل مكان لا بد أن يأتى له بفرائس .

### صورة - ٢

أقل فأقوى ذات يوم وخيبة      لأول من يلقى وغى ميسر  
فأبصر ركبا رائحين عشية      فقالوا : أبغل مائل الجل أشقر  
بل السبع فاستنجوا وأين نجاؤكم      فهذا ورب الراقصات المزعفر  
فولوا سراعاً يندھون مطيهم      وراح على آثارهم يتقمر  
فساراهم ما إن لحس حسيه      مدى الصوت لا يدنو ولا يتأخر  
فلما رأوا أن ليس شىء يريهم      وقد أدلجوا الليل التمام وأبكروا  
وقد برد الليل الطويل عليهم      ومر بهم لقح من القر أعمر

(١) الديوان ٣٩ - ٤٠ . الهامش : «التأية : الدعاء ، يقول كان زجرهم إياه لبتنحى عنهم ، فكانه  
إنما كان ليأتيهم ، يصفه حين زجرة القوم .

جعل الشىء واجتعله كلاهما : وصفه . المحراب : جعل المحراب كالمجلس .. » .

تنادوا بأن حلوا قليلا وعرسوا وحفوا الركاب حولكم وتيسروا  
 بعينيه لما عرسوا ورحالهم ومسقطهم والصبح قد كاد يسفر  
 ففاجأهم يستن ثانی عطفه له غيب كأنما بات يمكر  
 فنادوا جميعاً بالسلاح ميسراً وأصبح في حافاتهم يتنمر  
 وندت مطاياهم فمن بين عاتق ومن بين مود بالبيسطة يعجر  
 وطاروا بأسيا ف لهم وقطائف وكلهم يخفى الوعيد ويزجر  
 فأول من لاقى يجول بسيفه عظيم الحوايا قد شتا وهو أعجر  
 فقضقض بالنابین قلة رأسه ودق صلیف العنق والعنق أصعر  
 ووافى به من كان يرجو إيا به فصادف منه بعض ما كاد يحذر<sup>(١)</sup>

وهی صورة رائعة تتابع جزئیاتها كالآتی :

- ١ - رؤية الأسد للقافلة واهتمامه بهم .
- ٢ - تبين للقافلة أن القادم أسد وليس حيواناً آخر .
- ٣ - الرحيل وإسراعهم بعيدا ولكن أين المفر ؟
- ٤ - الأسد يتابع القافلة في هدوء وسكون ، ويسترشد بصوتهم ، وهم عنه غافلون .

(١) الديوان ٦١ - ٦٣ ، الهامش : « يتنمر ، يتعاهد غرتهم . وتقمّر الصياد والظياء والطير بالليل : إذا صادها في ضوء القمر ، فتقمّر أبصارها فتصاّد . عرسوا : نزلوا في وجه السحر ، يسفر : يشرق . المكر : المغرة ، يقول كأنما خضب غيبه بها ، ويقال : يمكر : يتفخ ، يقال : زق محكور ، أى منفوخ ومنه يقال امرأة محكورة إذا كانت محتلة ، يستن : يجيء دفعة واحدة ، والغيب الجلد الذى تحت الحنك ، وقيل ما تغضن من الجلد . العاتق : السابق ، عجر الفرس يعجر : إذا مد ذنبه نحو عجزه في العدو . القطائف : فرش مخملة ، وقيل كساء له خمل ، ققضقض : قطع ، وققضقض فريسته ، يحطمها ، صلیف العنق : جانب

٥ - ظن القوم أن الحيوان أصبح بعيداً ، ولم يعد يهتمهم .

٦ - دعوا إلى التعريس للراحة ، وقد شعروا بشده البرد فجمعوا .

٧ - اقتراب الأسد منهم بعد رؤيته لهم ، ثم مفاجأته .

وهنا استطاع الشاعر أن يعطينا صورة دقيقة لخصائص هذا الحيوان الافتراضية في طريقة تتبعه لفرائسه واقترابه منها . فعلى الرغم من قوة الأسد الهائلة واندفاعه - كما تذكر المصادر - فإنه يتصف بالحذر والهدوء في اقترابه من الفريسة ، ويعتمد على حاسة البصر في تتبعه لها ، وتحديد مكانها ، وعندما يجد المسافة كافية للهجوم المباغت ، ينقض كالسهم الطائش عليها<sup>(١)</sup> ويقول أبو حيان إن الإنسان فيه من طباع الحيوان الكثير كالكمون الذي في طباع السبع والفأرة ...<sup>(٢)</sup> .

٨ - نادوا القوم بالمبادرة إلى السلاح ، والأسد يدور حولهم .

٩ - انزعاج الدواب ، وقرار بعضها .

١٠ - استعداد القوم للقاءه بأسلحتهم وصياحهم .

١١ - تقدم نحوه فارس ضخم .

١٢ - انقضاض الأسد عليه وغرس أنيابه في رأسه ودق عنقه .

١٣ - ذهاب الأسد بفريسته إلى عائلته المنتظرة عودته .

صورة - ٣

واستحدث القوم أمراً غير ما همروا      وطار أنصارهم شتى وما جمعوا

|                             |                                          |
|-----------------------------|------------------------------------------|
| كأنما يتفادى أهل بعضهم      | من ذى زوائد فى أرساغه فدع <sup>(١)</sup> |
| أفر عنه بنى الخالات جرأته   | لا الصبر يمنع منه وهو ممتنع              |
| فما اكتسب رئيس غير متقص     | وليس فيما ترى من كسبه طمع                |
| مستضرع مادنا منهن مكتتب     | بالعرف مجتلماً ما فوقه فنع               |
| على حطام من العصباء عندهما  | من شكة القوم مخروع ومنصدع                |
| سهم وقوس وعكاز وذو شطب      | لم يترك لومة فى رمة الصنع                |
| معراً وآخر مرتدّ بهدامية    | ومزهق بعدما التحنيق يطلع                 |
| ألقاه غير بعيد القوم حلتته  | ولم يعرج عليه الركب فاندفعوا             |
| فأبصرته وراء القوم كالثبة   | عين فإن أرقّت ماء بها قمع                |
| فأجمرت حرج خوصاء قد ذبلت    | وأيقنت أنه إذا كلل السبع                 |
| وقد دعا دعوة والرجل شائلة   | فوق العراقى فلم يلورا وقد سمعوا          |
| وثار إعصار هيج بينهم وخلت   | بالكور لأباً وبالأنصاع تمتنع             |
| شجراً وعدواً وعين غير غافلة | عن الغبار وظناً أن ستبج <sup>(٢)</sup>   |

(١) الديوان ١١٠ - الهامش : « يتفادى : يتقى بعضهم من بعض من ذى زوائد : أسد . فدع : ميل » .

(٢) الديوان ١١٤ - ١١٦ ، الهامش : « مستضرع : من الضرع ، وهو الخاضع . مجتلماً : يريد لمة من هذا الأسد المذكور ، الفنع : الكثرة . العكاز : الرمح . وذو شطب : أراد به السيف ، الصنع : الحاذق . ألقاه : أى ألقى الأسد هذا الرجل غير رحلته ، ولم يحسن عليه القوم ، فمضوا . كلل على القوم : حمل عليهم ، يقال مكمل تكليلاً السبع . العراقى : جمع عرقوة الرجل ، وهى خشبة من خشبتين تضمان ما بين الراس والمؤخرة . خلت الناقة بالرجل : قعدت به ، الشحر : الحنين ، يقول : إن عينها لا تغفل عن الغبار الذى أثاره الأسد ، فهى تلتفت ظناً أن الأسد يتبعها » .

### تستمر جزئيات الصورة كالآتي :

- ١ - فوجيء الركب بالأسد وكان أمراً غير ما توقعوه فدبت الفرقة بينهم .
- ٢ - فى رعبهم تصادم بعضهم ببعض ، وكلهم يريد انقاء الأسد .
- ٣ - لشدة الأسد وجرائه جعل الدواب الأخرى تفر أمامه ، فلا يمتنع منه صيد .
- ٤ - قائد القطيع أو القافلة يقودها بحنكة ، ولكنه لا يستطيع للأسد دفعا ، فلم يفدها بشيء .
- ٥ - هذا القائد لا يمكنه حماية شيء ، ولكنه متسامح ، يضع على رأسه خوذته ، ومطلبه قتل الأسد .
- ٦ - استطاع الأسد التنكيل بأحد الفرسان وغيره ، وتناثر حطام القتال بجميع أشكاله .
- ٧ - القتلى ما بين جريح ومخضب بدمائه ، وقتيل متروك بالعراء .
- ٨ - يقدم الأسد نحو الركب ثانية ، وقد أحسست به الإبل وشعرت بقدميه عن كذب .
- ٩ - تنادى القوم ثانية بالقتال وهم فوق الرحال ، وعمهم الاضطراب . فبركت الإبل .
- ١٠ - أثر القوم الإسراع بالرحيل والبعد عن المكان . وثار الغبار ، ولكن الإبل لا تغفل عيونها عن الأسد خوفاً من أن سيتبعها .

### صورة - ٤

|                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| ويصاح من صاح فى الأجلاب وابتعث | وعاث فى كبة الوعواخ والعرير |
| كعكعوهن فى ضيق وفى دهش         | يتزون من بين مأبوض ومهجور   |
| وغودر السيف لم يخرج وخلته      | أهباب دام على السريال معفور |

ثم استمر إلى ترج فأسنده إلى فريسين ذى كفل وذى كور<sup>(١)</sup>

١ - فزع الركب من رؤية الأسد ، فصاح الجميع صارخين محذرين .

٢ - فزعت الإبل أيضا ، فحاول راكبوها شدها والسيطرة عليها .

٣ - استطاع الأسد أن يقتل رجلاً أعجله عن امتلال سيفه الذى ألقى مخضباً بدمائه على التراب .

٤ - مضى الأسد بهذا القتل إلى عرينه حيث أضافه إلى فريستين آخرين .

صورة - ٥

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| فباتوا يدلجون وبات يسرى    | بصير بالدجى هاد هموس     |
| رأى بالمستوى سفراً وعيراً  | أصيلاً وجنته الغميس      |
| تواصوا بالسرى هجراً وقالوا | إذا ما ابتز أمركم النعوس |
| فإياكم وهذا العرق واسموا   | لمومة مأخذها مليس        |
| وحقوا بالرحال على المطايا  | وضموا كل ذى قرن وكيسوا   |
| إلى أن عرسوا وأغب عنهم     | قريباً ما يحس له حيس     |
| خلا أن العتاق من المطايا   | حسنن به فهن إليه شوس     |
| فلما أن رآهم قد تدانوا     | أناهم وسط رحلهم يميس     |

(١) الديوان ٨٢ - ٨٣ ، الهامش : « الكبة : الجماعة من الناس . الوعاع : الصوت ، عاث : أفسد . كعكموه : كفوا إيلهم فى ضيق . مأبوض : مشدود بالإباض ، وهو جبل يشد من العنق إلى الرجل . والهجار : جبل يشد من حقو الهمير إلى رنغ يديه . خلة السيف : بطانة جفته . وجميعها خلل . والأهباب : الأخلاق . معفور : قد انعفر فى التراب . مضى الرجل بهذا الأسد إلى ترج . وهو موضعه . وأسنده إلى فريسين : أى صريحين كان قد أفسدهما قبل ذلك ، ذى كفل : كان مكتفلاً بكساء له .. » .

فشار الزاجرون فزاد منهم  
 بنصل السيف ليس له مجن  
 فيضرب بالشمال إلى حشاه  
 بسمر كالمخالق فى فتوخ  
 فخر السيف واختلفت يداه  
 وطار القوم شتى والمطايا  
 معاود جرأة وقت الهوادي  
 إذا ضمت يداه إليه قرنا  
 وجمال كأنه فرس صنيع  
 كأن بنحره وبمنكبيه  
 يشق الزار يحمل عبقريا  
 فذلك إن تلاقوه تفادوا

تقربا وواجهه ضبيس  
 فصد ولم يصادفه جسيس  
 وقد نادى وأخلفه الأنيس  
 بقيها قضية الأرض الدخيس  
 وكان بنفسه وقيت نفوس  
 وغودر فى مكرهم الرسيس  
 أشم كأنه رجل عبوس  
 فقد أودى إذا بلغ النسيس  
 يجر جلاله ذيل شمس  
 عيبرا بات تعبؤه عروس  
 قرى قد مسه منه مسيس  
 ويحدث عنكم أمر شكيس<sup>(١)</sup>

(١) الديوان ٩٤ - ٩٩ ، فى الهامش : « بصير بالدجى ، يريد أنه بصير بالمشى فى الظلم هادفيه ، والغموس : الواسع الشدين من قولهم : طعنة غموس ، إذا كانت واسعة الشق عميقة ، يصف قوماً سروا والأسد يفتو آثارهم لكى ينتهز منهم فرصة . أصيلا : عشية ، وجنته : سترته ، والغميس : الأجمة التى ينغمس فيها ، وقيل الظلمة ، يقول : تواصلوا نصف النهار بأن يتحفظوا فى سرى ليلهم من الأسد . والنعوس : الذى يحرسهم فينام . العرق : واحد العراق . يقول : سيروا فى مومة ملساء ، فإن جاءكم الأسد رأيتموه . القرن : الكنانة ، يقول : ضموا إليكم المومة ، ويكون أيضا أن يضموا إليهم كل ذى قرن من إبلهم والقرن : الحبل . روى الأصمعى : وزموا كل ذى قرن ، يقول اجعلوا الأوتار فى أفواق سهامكم ، عرسوا : تزولوا عن رواحلهم وناموا . أغب عنهم ، قصر فى سيره ، ما يحسن له حسيس ، لا يسمع له صوت . حسست بالخير ، وأحسست به . أيتنت به ، وأصله من الإحساس ، وهو الإدراك بالعين ، والشوس يمع شوساء ، وهى التى تنظر بمؤخر عينها . ماس : تبهتر فى مشيه وتثنى ، =

تتميز الصور السابقة جميعاً بالآتى :

**أولاً : التشابه ،** فنجد جزئياتها ، وتتابع الحوادث داخلها يشبه بعضها بعضاً وكذا تطورها من البداية للنهاية ، بل تكاد تتطابق أحياناً ، وكأنه يمكن ردها إلى موقف واحد ، أو حادث واحد مع اختلاف الصياغة . وهذا يعنى أن الشاعر حول المعاناة هنا إلى مادة معينة يمكن الأخذ منها والتطور بها كما يريد ، وتكرار الحوادث أو التشابه فى هذا النوع إما لأن الشاعر يريد تكرار تأثير الرعب ، وإما أنه يريد تكرار هجمات الأسد ، ولكن هجماته تشابه ، ونحن نرى أن الأول أقرب ، لأنه لا يمكن تصور عدة رحلات أو قوافل ، تعرض الأسد لها فى كل مرة ويحدث ما يحدث فى المرات السابقة . وهذا يدل على أن خيال الشاعر الخصب جعله يستخدم ما حدث فى مناسبة ما يستخدمه فى أكثر من مرة ، ولكن لا بد من وجود أصل لهذه المادة المعينة ، ولا بد أن يكون الشاعر شارك فى هذه الرحلات وأنه تعرض لهجمات الأسد .<sup>(١)</sup>

نقول إن المعاناة هنا ، كما ولدت النوع الثابت - المثالى ، ولدت أيضاً النوع الحركى ، وهذا يشبه إلى حد ما ظاهرة الأطلال ، فالشاعر الجاهلى رأى الأطلال فى حياته ووصفها ، واستطاع من هذه الرؤية الأولى أن يصور الأطلال بكل جزئياتها فى أكثر من قصيدة ، وأن « يصف » هذه الأطلال حتى وإن لم يكن يشاهدها فعلاً أى جعل من الأطلال مادة معينة يستخدمها متى يشاء . لكن أبا زيد تفوق عليه فى أن المادة المعينة عنده نابعة من تجربته الخاصة الفريدة مع هذا الحيوان . تلك التجربة التى لم

---

= الضبيس : الشكس العسر ، الثقل الروح والبدن ، وقيل الجبان والقليل الفطنة الذى لا يهتدى للحيله . المجن : الترس ، لأنه يوارى حمله ، أى يستره والميم زائدة السمر : المخالب ، والمخالق : المراس ، شبهها بها فى حديثها . ويرى : كالمعايل وهى نصن الصهام ، فى فترخ : فى استرخاء ، ولين ، والقضة : الحصى الصفار . والدخيس : اللحم الذى فى كفيه . الرئيس : الثابت الذى لزم مكانه . النسيس : بقية النفس ، وبقية الروح الذى به الحياة ، ويقال بلغ من الرجل نسيسه إذا كان يموت ، وقد أشرف على ذهاب نكيسته ، وقد طعن فى حوضه .. »

بشاركه فيها شاعر آخر ، فى حين أن الشاعر الجاهلى الواصف للطلل لم يخل من تقليدية سبقه إليها كثيرون .

هذا التشابه وإن كان وحد بين الصور بعضها والبعض ، فإن فى الوقت ذاته وحد بين جزئيات الصورة الواحدة بعضها والبعض أيضا . أى أن التشابه لعب دوراً فى تكوين كلية الصور أياً ما يكن هذا الدور .

### ثانياً : الحركة

يتميز هذا النوع من الصور وخاصة التى تزيد على أربعة أو خمسة أبيات بالحركة ، فليس فى جزئياتها ثبات إلا ما دخلها من وصف الأسد ذاته ، أو أخذت على حدة ، أما وهى فى سياقها مع ما سبقها وما يأتى بعدها ، فهى تعد جزءاً من حركة . فنرى الآتى :

الأسد يتقدم

القافلة تسير

شعور الإبل به

تتحرك

الرجال يتدافعون للحماية

الأسد يهاجم

الافتراس

الدفاع

عودة الأسد إلى عرينه بفريسته .

فالحركة ، أساس تكوين الصورة هنا ، سواء أكانت حركة الجزئيات (تحرك الدواب ، والأسد والرجال ..) أو حركة الصورة بعامتها إذا جمعنا كل هذه الجزئيات

مطاً . فالجزئية التي قد نرى فيها ثباتاً ، تقابلها جزئية متحركة كما في صورة - ٢ .  
عندما تتأدوا للراحة في حين أن الأسد يتابعهم . هذه الحركة تضيف نوعاً من الحيوية  
على الصورة ، فالصورة الشعرية - كما يقول مى . دى . لويس - : « هي العقل  
الإنساني الهادف لإيجاد صلة مع كل ما هو حي ، أو كان حياً .. » (١) .

إذن فحيوية الصورة الشعرية فيما أوردناه ليس مصدرها أنها تصف شيئاً حياً ، بل  
لأن تكوين الصورة ، أو صنعتها هي مصدر تلك الحيوية . فالحيوية ليست في الموصوف  
قدر ما هي في تكوين الصورة ذاتها ، فنجد أن الحركة التي تبدو في النص تثير لدينا  
قدراً كبيراً من الانفعال نتيجة إحساسنا بتلك الحيوية .

### ثالثاً : الحكاية :

نتيجة تطور الحركة في هذا النوع من الصور ، أصبح للصورة بداية ونهاية وفعل  
متطور ، يبدأ عادة بسير القافلة ، أو سير الأسد ، ثم شعور الرجال بانه يبعثهم ،  
وإحساس الدواب بذلك ، ثم ما يترتب على ذلك من آثار ، التعامل معه ، القتال ،  
الافتراس ، عودة الأسد بفريسته ، ذهاب القافلة إلى حال سبيلها . مع بعض  
الاختلاف في جزئيات صغيرة من صورة إلى أخرى .

الصورة هنا أشبه بالقصة القصيرة ، والشاعر يحكى لنا ما حدث مضمناً وصفه  
لكل الجزئيات داخل هذه الحكاية ، أى أن الجزئيات في وصف الأسد أو القافلة ونحو  
ذلك ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لدعم الصورة الكبرى المتطورة ، أو دعم تطور  
الحكاية ، ولا بد إذن أن تكون هناك بداية محددة ، كذلك نهاية محددة تنتهي بانتهائها  
الصورة .

كذلك نجد الألفاظ والعبارات الدالة على هذه الحكاية واضحة في النص .  
كالآتي على سبيل المثال في صورة - ٢ :

(١) الصورة الشعرية ٤٠ .

فساراهم — فلما رأوا — وقد أدلجوا — برد الليل الطويل عليهم —  
تنادوا — بعينه لما عرموا — ففاجأهم — تنادوا جميعاً بالسلاح — ندت  
مطاياهم — وطاروا بأسياف .. إلخ كما نرى ذلك فى الصورة - ٥ :

فباتوا يدلجون — بات يسرى — تواصوا بالسرى — واسموا — وحقوا  
بالرحال — عرسوا وأغب عنهم — حسن به — رآهم قد تدانوا — آتاهم —  
يميس — فثار الزاجرون .. إلخ .

هذه الحكاية على هذا النحو تتكون من شقين أساسين أو شخصيتين  
جوهريتين : الأسد من ناحية ، والقافلة من ناحية أخرى ويحدث الصراع بينهما ،  
الشاعر يصف أولاً كليهما على حدة ، ثم يصف لقاءهما معاً .

هذه الحكاية أضافت نوعاً من التشويق فى الصورة ، مما يجعل القارئ يتابعها  
حتى النهاية ، يقول كولردج فى نص هام : « لكى يصبح العمل قصيدة بحق ، يجب  
عليه أن يدفع القارئ إلى الأمام ، فيحفزه على المضى فى القراءة وليس ذلك فقط  
بسبب دافع الاستطلاع الآلى لديه ، أو لأن به رغبة ملحة فى الوصول إلى الحل  
النهائى ، وإنما بسبب ما يجده من لذة حينما ينشط ذهنه ، وتجذب به مباحج الرحلة  
ذاتها .. » (١) .

إن كثيراً من القصائد لشعراء آخرين غير أبى زيد قد تثير تلك الحالة من  
النشاط الذهنى لدى القارئ وتجعله يتابع القصيدة ، ويمضى فى قراءتها حتى النهاية  
وليس شرط أن تحتوى القصيدة تلك على الحكاية التى نراها عند أبى زيد فيما عرضنا  
له من نماذج . فهل تشوق القارئ واسترساله فى تتبع صور أبى زيد إلى النهاية  
مصدره الحكاية فقط ؟ أم أن هناك شيئاً آخر جعله يمضى يجتذبه مباحج الرحلة ذاتها  
كما يقول كولردج ؟ الحكاية لا شك وإرادة القارئ معرفة نهاية الصراع بين القافلة

والأسد أساس استرسال القارئ إلى نهاية الصورة . ولكن يضاف إلى هذا صنعة الصورة نفسها ، أو بمعنى آخر قدره الشاعر على تصوير الأسد على حدة وإبراز ما يريده منه داخل تلك الحكاية ، وكذلك تصوير القافلة على حدة بالتفصيل داخل الحكاية أيضاً ، فليست الحكاية هنا أو تطور الفعل بمفردهما ، وإنما هناك قوة أخرى تجذب القارئ . هذه القوة متمثلة في إظهار هذا وذاك بكامل هيئتهما وإمكانيتهما معاً ، وفي كل نص ، فلم يكشف الشاعر بوصف قوة الأسد في نص واحد معتمداً على أن القارئ يعلم ذلك ويراه في نصوص أخرى ، بل يركز ذلك في كل نص ، أى في كل صورة محتوية على هذه الحكاية . فهو ، أى الشاعر يعمل عمل من يصف مصارعين قوين كلاهما على حدة ويرز قوة كليهما .. إلخ ، ثم يصور ما يحدث بينهما من صراع ، والمصارعان هنا هما هما في كل صورة ، ومع ذلك يجذب الشاعر انتباه القارئ إلى الأسد ذاته وإلى القافلة ذاتها مكرراً الأوصاف في كل قصيدة ، فيشعر القارئ وكأن الأسد أسد آخر ، في حين أنه هو هو في الصورة والمثال الذى يريده الشاعر ، وليس الأسد فى حد ذاته كأسد اسمه كذا أو نوعه كذا . وكأن القارئ يقول : يبدو هذا أسداً آخر وقافلة أخرى ، فياترى ماذا يكون من أمرهما أيضاً ؟؟

من هذا نجد أن الشاعر أضاف إلى تطور الحكاية عنصراً آخر دافعاً للقارئ على متابعة النص هو تركيزه على قوة الأسد على حدة من ناحية ، واستعداد القافلة وما فيها من ناحية أخرى ..

#### رابعاً : العضوية

الحركة والحكاية ، وتطور جزئيات الصورة من هذا النوع جعلها صوراً عضوية أو جعل القصيدة المحتوية على هذه الصورة مترابطة عضوياً للآتى :

- ١ - تتابع جزئياتها عضوياً . بمعنى أن كل جزئية من التصوير تشكل تطوراً في الحدث أو الحكاية ، فلا تستطيع تقديم جزئية على أخرى ، أو استبدال جزئية بأخرى وإلا اختل الوضع فى القصيدة ، فالحكاية أو البناء الدرامى للصورة جعلها

عضوية متطورة ، وهذا بعكس ما رأينا فى النوع الأول .

٢ - إن الصور من هذا النوع قد يدخل وسطها صور من النوع الأول الثابت ، ولكن هذه الأخيرة بوضعها هذا اكتسبت شيئاً جديداً . أى أصبحت تؤدى دوراً داخل هذا الكل العضوى ، فمثلاً عندما يقول فى صورة - ٥ :

|                         |                                    |
|-------------------------|------------------------------------|
| وطار القوم شتى والمطايا | وغودر فى مكرهم الرئيس              |
| معاود جرأة وقت الهوادرى | أشم كأنه رجل عبوس                  |
| إذا ضمت يدها إليه قرنا  | فقد أودى إذا بلغ النسيس            |
| وجال كأنه فرس صنيع      | يجر جلاله ذيل شמוש                 |
| كأن بنحره وبمنكبيه      | عبيراً بات تعبؤه عروس              |
| يشق الزار يحمل عبقرى    | قرى قدمسه منه مسيس                 |
| فذلك إن تلاقوه تفادوا   | ويحدث عنكم أمر شكيس <sup>(١)</sup> |

نرى أن الصورة فى البيتين : الثانى والثالث ، والتي تركز على أوصاف الأسد نفسه بعيداً عن القافلة ، أو عن الحركة بمعنى أدق ، يمكن - كما رأينا فى النوع الأول - أن تؤخذ على حدة لتكون صورة جزئية محددة ، ولها تأثير فى متابعة الأسد وفى تكوين الصورة العامة له ، أى لها وضعها الخاص وهدف محدد ، ولكنها هنا داخل الحكاية أو تطور الحدث اكتسبت شيئاً آخر ، وهو التأثير فى القافلة . وعلاقة الأسد هذا بما صوره الشاعر فيه بما سبق من بداية وبما يأتى من تطور حتى نهاية القصة أو القصيدة . ويلعب تعبير «وجال» و «يجر جلاله» دوراً هاماً فى إظهار الحركة سواء فى الأسد أو فى القافلة . فأصبحت هذه الجزئية جزءاً من كل . وليس قائمة بذاتها . وهذا ما يعبر عنه هاملتون بقوله : «الشاعر الذى يولد صوراً واضحة حية ،

إنما يطرب لهذه الصور وصفتها الحسية ، إنه لا يسرع فى طريقة إلى القيام بفعل ما ، فليس الفعل غاية ، بل غايته هى ما يمكن وصفه بأنها تجربة نامية فى طريقها إلى الاكتمال ، ولذلك فهو لا يطرح صوره جانباً ، ولكنه ينميتها ، ويطور وصفها الحسية ، بحيث تزيد كل صورة منها بقية الصور غزارة وغنى ، ولكى تمتزج هذه الصور بشتى أنواع العناصر الأخرى ، بحيث ينشأ عنها جميعاً كل منسجم محكم .. (١) .

٣ - إن الصور من هذا النوع يشملها شعور نفسى « بالرعب » ، فهناك حالة نفسية معينة تجعل الشاعر يكرر هذه الحكاية ، ويعرض لتفاصيلها بهذا الشكل ، فلا يشعر أنه يصور « وهو بعيد » ، بل هو منغمس فى الحدث تماماً ، وانغماسه لا يعنى اشتراكاً فى قتال الأسد ، وإنما يعنى اشتراكاً قوياً شعورياً بمتزج بالتأثير « الرعبى » نتيجة المعاناة أيضاً ، ولكن فى الوقت نفسه تبرز صنعة الشاعر من خلال هذا الاتجاه التأثيرى ، بمعنى أن الشاعر لم يصف القافلة والتقاء الأسد بها بالتفصيل فى كل شىء - كما ينأى فى صفة التشابه - وطالما أن الحالة النفسية سائدة والهدف التأثيرى موجود ، فإن الشاعر يركز على جزئيات الصورة المؤدية لهذا الغرض فقط ، فالأسد هو الأسد ، وما يزال المثال ، وهو فى كل صوره لا يستطيع الرجال أن يصدوه أو أن يقتلوه ، بل لا بد فى كل مرة أن يلتهم منهم ضحايا ، وكذلك لم يتعرض الشاعر لوصف ما يضاد هدفه الأساسى فى هذا النوع من الصور ، لم يتعرض لما قد يخل بعضوية تصويره المتتابع التشابه الذى يحقق غرضه ، تماماً مثلما رأينا فى النوع الأول من الصور أن الشاعر لا يذكر فى قصيدته ما يعارض أو يضاد المثالية التى يريد بها لهذا الحيوان ، فلم يتعرض لما يخل بالمواجهة بين الأسد والرفاق ، يروى الدكتور نورى حمودى القيسى أن العرب كانوا « يوقدون من أجله ناراً يسمونها نار التهويل ، لأن الأسد - كما يعتقدون - إذا عاين النار ، حذق إليها ، وتأملها ، وهذا ما يشغله عن السابلة .. » (٢) ، كذلك كان

(١) الشعر والتأمل ٧٥.

(٢) الطبيعة فى الشعر الجاهلى ١٢٥ .

العرب يقيمون الفخاخ للإيقاع بالأسود ، فيروى البغدادي : « الزبية تحفر للأسد فيصاد فيها ، وهى ركية بعيدة القعر ، إذا وقع فيها ، لم يستطع الخروج منها ، لبعدها قعرها ، يحفرونها ، ثم يوضع عليها اللحم ، وقد غموها بما لا يحمله ، فإذا أتى اللحم ، انهدم غطاء الزبية .. » (١) . وربما تكون هذه الأشياء قد قام بها رجال القافلة أو فكروا فيها ، ولكن أبا زيد لم يذكر شيئاً من ذلك ، لأنه يريد تكويننا خاصاً لصوره ، ونمطاً محدداً يبغيه وقد شعر بأن ذكر ذلك ونحوه قد يخل بما يريد . ولذلك اكتسبت صورته العضوية ، ونحن نشعر أن أبا زيد يريد أن يقدم للناس دليلاً على كثرة وصفه الأسد وبيان شدة تنكيله ووحشيته ، وعذراً يستميج له أن يرضى الناس عنه . وكأنه يقول هاؤم انظروا ماذا يفعل الحيوان بالناس لتعذروني . وهذا أيضاً يعد من أهدافه التي تجعله يعرض عما يضادها كما ذكرنا .

من هذا نرى أن سيطرة المعاناة السائدة ، تحولت فى شكلها إلى مثالية ، وهذا فى رأى عنصر هام من عناصر تقسيم النص ، يقول كولردج : « إن الصور وحدها ، مهما بلغ جمالها ، ومهما كانت مطابقتها للواقع ، ومهما عبر عنها الشاعر بدقة ليست هى الشئ الذى يميز الشاعر الصادق ، وإنما تصبح الصور معياراً للعبقرية الأصيلة حين تشكلها عاطفة سائدة أو مجموعة من الأفكار والصور المترابطة أثارتها عاطفة سائدة ، أو حينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة ، والتتالى إلى لحظة واحدة ، أو أخيراً عندما يضاف عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية .. » (٢) ، ويقول فى نص آخر عن الخيال الثانوى : « إنه يذيب ويلاشى ويحطم لكى يخلق من جديد ، وحينما لا تتسنى له هذه العملية فإنه - على الأقل - يسعى إلى إيجاد الوحدة ، وإلى تحويل الواقع إلى المثالى ، إنه فى جوهره حيوى ، بينما الموضوعات التي يعمل بها (باعتبارها موضوعات) فى جوهرها ثابتة لا حياة فيها .. » (٣) .

وهذه المعاناة يفسرها أيضاً مأساوية الصور ، فنتيجة محاولة الشاعر إظهار التشكيل

(١) خزائن الأدب ٦ : ٢١٩ .

(٢) كولردج ١٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ١٥٦ .

والبطش والقتل والافتراس والدماء وجرجشت الضحايا أن اكتسبت هذه الصور مأساوية عنيفة تابعة من شعور الشاعر السائد فى الصور نتيجة ما رآه وعاناه من هذا الحيوان .

هذا بالإضافة إلى أن الشاعر استطاع أن يعطينا صورة من البيئة أو الطبيعة من خلال ذاته ، كما عرفنا عادات المسافرين ، وطريقة التبع ، وخصال الحيوان والأسلحة المستخدمة .. إلخ . كل هذا من خلال تلك الصور التى تحمل هذه الصفات والخصائص الفنية التى بينها .

يقول الباحث يوسف اليوسف : « فلعل أول انطباع تخلفه القصيدة الجاهلية على صفحة الوعى هو أن جدلية الذات - الصحراء هى العلاقة الأولى التى تؤثر مجمل العلاقات وتصنع القيم ، لا الاجتماعية فحسب ، بل والأدبية أيضاً . فالصحراء ليست بعداً من أبعاد الحياة الاجتماعية والنفسية والفكرية فحسب ، وليست كينونة الذات موضوعية محايدة تسرح فوق الواقع الجغرافى والطبيعى فقط ، بل هى سمة تحاith الذات وتلازمها ، بحيث نمتزج وإياها فى وحدة عضوية لا فكاك لأواصرها .. »<sup>(١)</sup> . ويقول : « فلئن كانت الطبيعة عند ورد زورث كبير الرومانسيين الإنجليز تقوم كإطار مستقل عن الذات ، وتحتاج فقط للاستعمال والتفسير ، فإنها عند الجاهلى قائمة فى وعيه ، وهذه هى إحدى خصائص البدائية ، إن الطبيعة لا تقوم خارج النفس ، بل هى جزء من هذه النفس .. »<sup>(٢)</sup> كذلك يحتل هذا النوع من الصور الكلية العضوية مكانه فى تنوع صور أبى زيد فى وصف الأسد ، ويقوم حلقة وسطى بين الصور الجزئية فى نوعها الأول وبين الصور الجزئية فى نوعها الثانى على نحو ما بينت ، ولذلك فإن صور أبى زيد فى الأسد تكون فى مجموعها ما يشبه الوحدة أو التطور .

(١) مقالات فى الشعر الجاهلى ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ١٨ .

## ثالثاً : الصورة المتداخلة (١)

قد تكون الصورة جزئية ، أو كلية أو عامة كما رأينا ، ولكنها في الوقت نفسه تحمل بعدين : البعد الأول هو البعد - الهدف من القصيدة ، وهو غالباً ما يكون في المدح أو الفخر ، والبعد الثاني هو البعد - الصورة ، وغالباً ما يكون في تصوير ذلك الممدوح ، فقد نرى قصيدة لأبي زيد أو سواه في وصف الأسد - كما رأينا من النماذج السابقة - ثم بعد الانتهاء من الوصف ، نجد أن الهدف منه ليس الصورة في حد ذاتها - وإن أجاد الشاعر وأبدع - وإنما الهدف هو المدح ، أى أن هذا الأسد بأوصافه في حقيقة الأمر ما هو إلا مشبه به الممدوح ، أى حملت كل أوصاف الأسد بكل ما تشمل على الممدوح ، أى على المعنى الاستعارى أو المجازى .

إذن فهناك صورة غير مباشرة ، وهى تصوير أو إظهار الممدوح بأن من صفاته كذا وكذا ، وهناك صورة مباشرة ، وهى وصف الأسد وتعدد صفاته ، والصورة الثانية متداخلة مع الأولى تماماً ، لأنها محمولة عليها في حقيقة الأمر ، وبالتالي ليست قائمة بذاتها .

هذا النوع من الصور منتشر في الشعر الجاهلى وما يتبعه من شعر المخضرمين . فالقصيدة الجاهلية قد تحتوى على الغزل فيتحدث الشاعر عن صفات محبوبته وأنها تتميز بكذا وكذا ، ويستطرد في تشبيه ريقها بالعسل ، مثلما فعل أبو ذؤيب الهذلى مثلاً ، الذى يبدأ بالغزل إلى أن يشرع فى البيت السابع فى تصوير الخمر فى سبعة أبيات متتالية حملاً على المشبه ، وفى البيت الثامن من وصف الخمر لا يعود إلى المرأة ، بل يجعل صورة المرأة ضمن صورة أعم ، وهى صورة العسل ، بدأها فى البيت الثامن ، واشتملت على ثلاثة عشر بيتاً فى تصوير العسل ، وجمعه .. إلخ فى تفصيل شديد ، ليقول فى البيت الرابع عشر منها :

بأطيب من فيها إذا جثت طارقاً من الليل والتفت عليك ثيابها (٢)

وهذا معروف فى الشعر الجاهلى ونحوه ، عندما يفصل الشاعر تفصيلاً شديداً فى المشبه به ، بل إن الأعشى ، ميمون بن قيس يصف الأسد فى أبيات رائعة فى قوله :

(١) انظر فى تداخل الصور كتابنا ، الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره ٢ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٨١ .

|                              |                                            |
|------------------------------|--------------------------------------------|
| فما مخدر ورد كأن جبينه       | يطلى بورس أو يطان بمجسد                    |
| كسته بعوض القريتين قطيفة     | متى ما تنل من جلده يتزند                   |
| كأن ثياب القوم حول عرينه     | تبابين أنباط إلى جنب محصد                  |
| رأى ضوء نار بعدما طاف طوفه   | يضىء ثناها بين أثل وغرقد                   |
| فيا فرحا بالنار إذ يهتدى بها | إليهم وإضرام السعير الموقد                 |
| فلما رأوه دون دنيا ركبهم     | وطاروا سراعاً بالسلح المعتمد               |
| أتيح لهم حب الحياة فأدبروا   | ومرجاة نفس المرء ما فى غد غد               |
| فلم يسبقوه أن تلاقى رهينة    | قليل المساك عنده غير مقتدى                 |
| فأسمع أولى الدعوتين صحابه    | وكان التى لا يسمعون بها قد                 |
| بأصدق بأناً منك يوماً ونجدة  | إذا خامت الأبطال فى كل مشهد <sup>(١)</sup> |

فتجد المبتدأ المسبوق بالنفى «فما مخدر» يأتى الخبر بعده بعشرة أبيات .  
«بأصدق بأناً منك» ، يتوسطهما ذلك الوصف التفصيلى فى تصوير الأسد ، فلو  
حذف ركنا الجملة لتغير الهدف من الصورة تماماً .

ولتنظر إلى هذا النوع من الصور عند أبى زيد الطائى :

من قصائد أبى زيد الجيدة فى ديوانه ، قصيدته فى رثاء اللجلاج ابن أخته .

يقول فيها . نص - ١

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| فلوت خيله عليه وهابوا  | ليث غاب مقنع فى الحديد |
| غير مانا كل يسير رويدا | سير لا مرهق ولا مهدود  |

مستعدا إن دنوا منه      فى صدر مهره كالصديد  
 شاحيا باللجام يقصر عنه      عركا بالمضييق غير شرود  
 نظير الليث همه فى فريس      أقصده يدا نجيد معيد  
 ساندوه إذا لم يروه      شدا أجلاده على التسنيد  
 يمسوا ثم غادروه لطير      عكف حوله عكوف الوفود  
 وهم ينظرون لو طلبوا الو      تر إلى واتر شمس حقود .. (١)

وبعد أبيات يقول فى مدح قومه :

خان دهر بهم وكانوا هم أهل      عظيم الفعال والتمجيد  
 ما نعى باحة العراق من النا      س بجدتعدو بمثل الأسود (٢)  
 وبعد أبيات أخرى يقول فى الفخر:

أسد غير حيدر وملث      يطلع الخصم عنوة فى كؤود (٣)

(١) الديوان ٤٦ - ٤٨ ، وفى الهامش : «الناكل : الراجع . المرقق : الملقى المكروب والمعجل ، شاحيا أى فاتحاً فاه ، عركاً : الشديد البطش فى القتال ، الفرس الشرود : المستمضى على صاحبه ، رجل شريد : طريد ، الصائك الدم المتغير ، الفصد : شق العرق ، وفصد الناقة : شق عرقها ليستخرج دمه فبشره ، أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصده حبة : قتلته ، النجيد : الشجاع ، الشديد البأس ، السريع الإجابة إلى ما دعى إليه . والمعيد من الرجال : العالم بالأمور . جلاد الإنسان : جماعة شخصه ، وقيل جسمه وبدنه ، وذلك لأن الجلد محيط بهما ، استند وتساند وأسند غيره ، ويقال : ساندته إلى الشيء ، فهو يتساند إليه ، أى أسندته إليه . أى أجلسوه ، الشموس : أى البعيد ، والحقود : الفضبان .»

(٢) الديوان ٥٠ ، فى الهامش : «الأجرد من الخيل والدواب كلها : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم .»

(٣) الديوان ٥٢ ، وفى الهامش : «الحيدر : القصير . المثلث : المقيم الملازم للشيء ، والكؤود : المرتقى الصعب والعقبة الشاقة ، العنوة : التهر .»

فوجد صورة الأسد تلح على الشاعر - لا تبرح خياله من حين لآخر ، فمرة يشبه المرثى بالأسد فى تمنعه وهيبته ، ثم ينتقل إلى وصفه فارساً يمتطى صهوة جواد بصير بالمركة ، ينظر كما ينظر الأسد إلى فرائسه ، ثم يصف المرثى بأنه شמוש ، وهى صفة أطلقها أبو زيد على الأسد ، ثم شبه الفرسان المدافعين عن الحمى بأنهم مثل الأسود ، ثم يعود فيمدح المرثى بأنه أسد ضخيم غير متقاعس .

فالتأسد طاغ على أوصاف الشاعر حتى فى الرثاء ، فيأتى إليه من حين لآخر موزعاً داخل النص ، فى صور متعددة من خلال هذا الرثاء .

ويقول فى قصيدة يمدح بها الوليد بن عقبة : نص - ٢

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| إذا صادفوا دونى الوليد كأنما | يرون بوادى ذى حماس مزعفرا      |
| تأذره السفار فاجتنبوا له     | منازله عن ذى حماس وعرعرا       |
| خضيب بنان ما يزال براكب      | يخب وضاحى جلده قد تقشرا        |
| تمهل ربعا وزايل شيخه         | بمأربه لما اعتلى وتمهرا        |
| وعايشه حتى رأى من قوامه      | قواماً وخلقاً خارجياً مضبرا    |
| تريبل لا مستوحشا لصاحبه      | ولا طائشاً أخذاً وإن كان أعسرا |
| خبعثة فى ساعديه تزايل        | تقول وعى من بعد ماقد تكسرا     |
| شبالاً وأشباه الزجاج مغاولاً | مطلن ولم يلقيين فى الرأس مثفرا |
| إذا علققت قرنا خطا طيف كفه   | رأى الموت رأى العين أسود أحمرا |
| وسارهم حتى استراهم ثلاثة     | نهيكاً ونزال المضيق وجعفررا    |

إذا واجه الأقران كان مجته جبين كطباق الرحا اجتاب مطرا<sup>(١)</sup>  
وهنا نجد الشاعر بدأ بتشبيه الممدوح بالأسد ، ثم أخذ يفصل في أوصاف  
الأسد حملا على المشبه .

وفي قصيدة في مدح الإمام على بن أبي طالب ، نرى الشاعر يكرس القصيدة  
كلها ، ماعدا بيتين ، في وصف الأسد حملا على المشبه وهو الإمام على ، وتقع  
القصيدة في ثلاثة وعشرين بيتاً . يقول منها : نص - ٣

إن عليا ساد بالتكرم      والحلم عند غاية التحلم  
هداه ربي للسرط الأقوم      بأخذه الحل وترك المحرم

(١) الديوان ٧٢ - ٧٥ ، وفي الهامش : « حماس : موضع تلقاء عرعر ، ودل أبو زيد في أبياته  
هذه على أنه مأسدة . والمزعفر : الأسد الورد ، لأنه ورد اللون ، وقيل لما عليه من أثر الدم ،  
ضاحية كل شيء ما برز منه ، وتقشر : نزع عنه جلده . قهل : تثبت ، ربعياً : في أول شباب  
أبيه ، وزايل أباه بآرية : أي قضى أريه منه ، لما اعتلى : أي قوى على الصيد ، وقهر ومهر  
سواء . عايشة : أي عايش الجرو أباه حتى رأى من استقامة خلقه ، مضرباً موثقاً . تريبيل :  
صار ربباً ، والأسد لا يضرب إلا بشماله الخبيثنة : الضخم الشديد من الأسد ، وقيل كل  
غليظ من الإبل وغيرها ، والتزايل : التباين . وعى : إذا التجبر عن غير استواء ، يقول : كأن  
ساعديه كسرائم جبراً ، الشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد إذا أدرك الصيد . والمغالول مفردها  
مغول ، وهي حديدة تجعل في السوط ، وقيل هو سيف دقيق ، وقيل سوط في جوفه سوط -  
سمى بذلك لأن صاحبه يقاتل به عدوه ، والزجاج : جمع زج ، الرمح ، وهو المقابل للسنان ،  
وعليه يركز الرمح . والمثغر : المنفذ ، يقول : أقمن مكانهن من فمه ، وأنه لم يشفر فيخلف سناً  
بعد سن كسائر الحيوان . الخطاطيف : مفردها خطاف وهو حديدة هجناء ، يختطف بها ،  
وخطاطيف الأسد : برائنه ، شبهت بالحديدة لحجنتها ، والموت الأحمر ، يعني القتل وذلك لما  
يحدث عن القتل من الدم ، وربما كنوا به عن الموت الشديد . كأنه يلتقى منه ، ما يلتقى من  
الحرب ، وقال أبو عبيدة في معنى قولهم هو الموت الأحمر ما يصيب الرجل من الهول . فيرى  
الدنيا في عينيه حمراء وسوداء ، وقيل : إنما قال رأى العين أو بالعينين - كما ورد في بعض  
الروايات - تؤكد ، لأن الموت لا يرى بالعين ، ولما قال أسود أحمر ، وكان السواد والحمرة  
لونين ، وكان اللون يحس بالعين ، جعل الموت كأنه مرئي بالعين .. »

كالليث عند اللبوات الضيغم      يرضعن أشبالاً ولما نطقم  
فهو يحامى غيرة ويحتمى      عبل الذراعين كربه شدقم .. (١)

ثم يستمر الشاعر فى تصوير الأسد ، مفصلاً وصفه بالشدة ، وضخامة الجسم وقوة الصوت والافتراس .. إلخ ، حملاً على المشبه بدءاً من قوله : كالليث ، ونشعر كأن الشاعر أراد أساساً وصف الأسد ، وخاطره يلح عليه ، ووجد مناسبة المديح ، وأتى بالبيتين اللذين أشرنا ليهما فى أول النص ثم انتقل إلى الأسد بعد ذلك متخذاً التشبيه وسيلة لذلك .

ولم ينس الشاعر أن يشبه نفسه أيضاً بالأسد ، فقال يفتخر .

ألا ابلغ بنى عمرو رسولا      فيأنى فى مودتكم نفيس  
فما أنا بالضعيف فتظلمونى      ولا جافى اللقاء ولا خسيس  
ولكنى ضبارمة جموح      على الأقران مجترىء خبوس  
أفى حق موساتى أخاكم      بمالى ثم يظلمنى السريس (٢)

فى هذا الضرب من تصوير الأسد نجد الآتى :

أولاً : انتقل الشاعر هنا من عرض المثال التصويرى ، إلى النموذج التمثيلى ، أى أن ما رأيناه من مثالية تصوير الأسد فى النوع الأول ، يقتصر على الأسد ذاته ، أما هنا فالمثال ليس نهاية تصوير قدر ما هو نهاية تشبيه ، فالمثال أصبح يشبه به ، بمعنى أن

(١) الديوان ١٣٣ ، فى الهامش : «العبل : الضخم - شدقم : أوسع الشدق» .

(٢) الديوان ١٠٠ - ١٠١ وفى الهامش : «الضبارمة : الموثق الخلق من الأسد وغيرها . وجموح : ماض ، راكب رأسه . وأسد خبوس : أخذ الفريسة من الحباسة ، وهو أخذت من شئ وغنمته . السريس : الذى لا يأتى النساء » .

هؤلاء العظماء والقادة ، كلما ازدادوا عظمة وقيمة وسيادة ونحو ذلك ، زاد اقترابهم من هذا المثال . فالأسد - المثال أصبح ها هنا يمثل به ونموذجاً يعرض ، ولا ينغلق على ذاته ، ولذلك نراه هنا قيمة للإنسان في حين أنه في النوع الأول يضيف قيمة لنفسه .

فالأسد - مع ماله من قوة وبطش وتنكيل - لم يكن مكروها عند العربى ، والفرق جد كبير بين أن يكون مخوفاً وبين أن يكون مكروها . لأن العربى الجاهلى كان يمجّد السيادة والقوة والظلم ، والأسد يحقق له هذه الصفات ، فلم يغضه وإن كان يقاتله دفاعاً عن نفسه ويخشاه ، بل أحياناً ما كان - كما يروى أبو سعيد السكرى فى شرحه لديوان كعب بن زهير - « يتفاعل بالأسد ، ولا يتفاعل بالذئب مثلاً »<sup>(١)</sup> ، وهنا تحول الأسد ، هذا النموذج - إلى ما يشبه الأسطورة أحياناً ، ويكاد أبو زيد شاعرنا يراه كذلك . وأصبح يذكّرنا بأبى الهول فى مسرحية أوديب لسوفوكليس ، أو التنين الصينى ، أو السيكلوبس اليونانى أو العملاق ذى العين الواحدة فى ألف ليلة وليلة ، وبات يمثل - أى الأسد بهذا الوضع - القطب المعاكس للواقع أو الحقيقة<sup>(٢)</sup> ، ونرى من الروايات العربية ما يجسد هذا الوضع ، ويصل به إلى أن يكون خيلاً محضاً فيروى أبو الفرج الاصفهاني فى أخبار قس بن ساعدة الأيادى أن رجلاً حكى للرسول صلى الله عليه وسلم عنه فقال : « بينا أبا بجبل يقال له جبل سمعان فى يوم شديد الحر ، إذا بقس بن ساعدة تحت شجرة عند عين ماء ، وعنده سباع ، كلما زار سبع منها على صاحبه ، ضربه بيده ، وقال : كف حتى يشرب الذى ورد قبلك ، قال : ففرقت ، فقال لى لا تخف إلخ »<sup>(٣)</sup> .

(١) شرح ديوان كعب بن زهير لأبى سعيد السكرى ٢٢٤ .

(٢) انظر مقال : « مدخل إلى مصطلح الأسطورة » لخلدون الشمة ، مجلة المعرفة السورية - العدد ١٩٧ - ص ٧ .

(٣) الأغاني ، تهذيب ابن واصل الحموى ٤ : ١٦١٠ .

ونرى زهير بن أبى سلمى يصف جيشاً ، واللفظ على الأسد :

لدى أسد شاكى السلاح مقلد      له لبد أظفاره لم تقلم  
جرىء منى يظلم بمقاب يظلمه      سريعاً ولا يبد بالظلم يظلم<sup>(١)</sup>

وهذا يدلنا على أن من أوصاف الأسد التى وردت فى هذا النوع الأخير من التصوير كررها الشاعر فى النوع الأول ، فالقوة والشدة والدماء ونحو ذلك موجودة فى النوع الأول . ولكنها فى النوع الأخير حملت على المشبه أى أن الشاعر لم يقصد بهذه الأوصاف مجرد تصوير الأسد. قدر مقصده أن يشبه به ذلك الممدوح أو المرئى أرادة لهما من الصفات ما يراه فى الأسد . أو ما يريده منه . هذا يعنى أن التشبيه قد يحوى قيمتين لا واحدة ، قيمة الخيال ، فى عقد الروابط بين المشبه والمشبّه به فى الصورة المحدودة أمامنا ، كما هو معروف من أنواع التشبيه وخواصه ، وقيمة التصوير وهى أن هذا التشبيه مع ما سبق ، يضاف إلى شخص ما ، أو يحمل عليه ، فيكشف التشبيه هنا نوعاً من القوة أو الإنسانية تزيد فى قيمته وتصويره .

ثانياً : أن الشاعر لم يستخدم النوع الثانى من الصور فى هذا الاتجاه . والنوع الثانى نقصد به وصف تعرض الأسد للقافلة ، وإنما ركز على صفات الأسد من النوع الأول ، وهذا خلافاً للأعشى . كما رأينا فى أبياته ، ويدل هذا أيضاً على أن أبا زيد لم يرد التفصيل فى تعرض الأسد للقافلة ، وإن كان ذلك التعرض يدل على بطشه وجبروته ، وإنما أراد التركيز على صفات الأسد فى صوره الجزئية ، لأنها - كما أشرنا - أقرب إلى المثال أو النموذج ، وربما رأى الشاعر أن التفصيل فى تعرض الأسد للقوافل قد يخل بهذا النموذج أو المثال المطلوب فى الشخص الممدوح .

**ثالثاً :** أن الأسد عند الأعشى غيره عند أبي زيد ، فعند الأعشى حيوان يمثل قيمة معينة فى تصوير الشجاعة والبطولة ونحو ذلك ، أما عند أبي زيد فهو يمثل معاناه شخصية ، وبذلك جاء اختياره لنموذج الأسد فى المدح أو الفخر أو الرثاء بناء على رؤية أدق وأعمق .

أى أن الشاعر بتحويله التأثير والمعاناة إلى مثال ونموذج يجعل تجربة الشاعر كلية دائمة ، ذات قيمة عالية .

### من مجموعة الصور السابقة بأنواعها تجد :

**أولاً :** أنها تشكل فى مجموعها صورة عامة متكاملة فى نسق متطور نام يصور هذا الحيوان بدقة وذلك على النحو التالى :

أسد قوى شجاع ، فيه من الصفات كيت وكيت ، حتى المثالية — يتعرض هذا الأسد بما فيه للقافلة — يتعامل معها — ينتصر نظراً لقوته وبطشه — يفترس الضحايا من الرجال — يعود مخضباً بالدماء وأشلاء الضحايا لإطعام أسرته — تملأ البقايا عرينه ..

تحول الأسد نتيجة لهذه الصفات المثالية إلى مكانة مثالية — أى تحول بصفاته وموقفه هذا إلى نموذج يحتذى يشبه به العظماء ، فاستطاع الشاعر أن يجمع بين دقة التصوير والملاحظة وبين إظهار المعاناة التى يشعر بها من خلال ذلك كله ، وبين التطور بجزئيات صورته لتكون نامية يودى كل نوع منها دوراً فى هذا التصوير من بدايته إلى نهايته .

**ثانياً :** مما سبق تجد أن شعور الشاعر نحو هذا الحيوان يبدأ بالضيق والمعاناة ثم ينتهى بالإعجاب حيث شبه به من يمدحهم أو يرثيهم ، بل شبه نفسه به ، وهذا موقف لا يتأتى لأى حيوان آخر ، فالمراقبة ووصف ما حدث لقافلة ، وما تلا ذلك من

وصف العرين وأسرة يدل على مدى ما يحمله الشاعر لهذا الحيوان من معاناه وتأثير  
 نفسى ، لكن لم يستطع الشاعر أن يفرض نفسه وشعوره على الأسد بل ترك الأسد  
 يفرض حقيقته عليه . وهذا يعنى أن القيمة الشعرية غير القيمة الشعورية فالقيمة فى  
 حد ذاتها مستقلة ، ثم يوجهها الشاعر كيفما شاء ، حيث ينعكس ذلك على صوره  
 الشعرية بأنواعها المختلفة .

\* \* \*

## مصادر البحث ومراجعته

### أولاً : باللغة العربية

- أدب الكاتب - عبد الله بن مسلم بن قتيبة - الطبعة الرابعة ١٩٦٣ .
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - ياقوت الرومي الحموي - الطبعة الأولى القاهرة ١٩٢٧ .
- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - الجزء الحادى عشر .
- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - هذب ابن واصل الحموي - كتاب التحرير - القاهرة .
- الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ .
- تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - طبع دار المعارف .
- تاريخ الرسل والملوك - ابن جرير الطبرى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٦٣ .
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب - أبو منصور الثعالبي - القاهرة ١٩٠٨ .
- جمهرة أنساب العرب - أبو محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٦٢ .
- خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب - عبد القادر البغدادي - القاهرة ١٩٧٧ .

- ديوان أبي زيد الطائي - تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي - طبع  
بغداد ١٩٦٧ .
- ديوان الأعشى الكبير - شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين -  
مكتبة الآداب - القاهرة .
- ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية -  
دار المعارف .
- ديوان بكر بن النطاح - نص محقق - منشور بمجلة المورد العراقية المجلد  
الخامس - العدد الثالث .
- ديوان زهير بن أبي سلمى - شرح أبي العباس ثعلب - دار الكتب - الدار  
القومية ١٩٦٤ .
- ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلام الشنتمرى - طبع شالون - ١٩٠٠ .
- ديوان عامر بن الطفيل - رواية أبي العباس ثعلب - دار صادر - بيروت  
١٩٦٣ .
- ديوانا عروة بن الورد والسموأل - دار صادر - بيروت - ١٩٦٤ .
- ديوان عنترة بن شداد - تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي -  
تقديم إبراهيم الإيبارى - المكتبة التجارية - القاهرة .
- ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره ، تحقيق وتعليق الدكتور  
حسين عطوان - مجمع اللغة العربية ، دمشق .
- ديوان أبي الطيب المتنبي - تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام - لجنة التأليف  
والترجمة والنشر - ١٩٤٤ .
- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وتقديم فوزى عطوى - بغداد ١٩٦٩ .

- رسالة الصاهل والشاحج - أبو العلاء المعرى - ط دار المعارف ١٩٧٥ .
- الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره - الدكتور صلاح عبد الحافظ - دار المعارف - الإسكندرية ١٩٨٣ .
- الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى - الدكتور يوسف خليف - دار المعارف ١٩٥٩ .
- الشعر والتأمل - رومترىفور هاملتون - ترجمة الدكتور محمد مصطفى بدوى - المؤسسة العامة للبتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- الصورة الأدبية - الدكتور مصطفى ناصف - الطبعة الأولى ١٩٥٨ .
- الصورة الشعرية - سى . دى لويس - ترجمة الدكتور أحمد نصيف الجنابى - بغداد ١٩٨٢ .
- الصنعة الفنية فى شعر المتنبى - الدكتور صلاح عبد الحافظ - دار المعارف - الإسكندرية ١٩٨٣ .
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحى - شرح محمود شاكر - دار المعارف - القاهرة .
- الطبيعة فى الشعر الجاهلى - الدكتور نورى حمودى القيسى - الطبعة الأولى بيروت - ١٩٧٠ .
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشىق القيروانى - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٣ .
- الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ - أبو العلاء المعرى - ضبطه وفسر غريبه محمود حسن زناتى - المكتب التجارى - بيروت .
- القاموس المحيط - الفيروز بادى .

- قضايا النقد الأدبي والبلاغة - الدكتور محمد زكى العشماوى - دار  
الكاتب العربى - القاهرة .
- كولردج - الدكتور محمد مصطفى بدوى - نوابغ الفكر الغربى ١٥ - دار  
المعارف .
- مبادئ النقد الأدبى - إيفور إيفانس رتشاردز - ترجمة الدكتور محمد  
مصطفى بدوى - المؤسسة العامة للترجمة والنشر ١٩٦٣ .
- المختار من شعر شعراء الأندلس - نص محقق منشور بمجلة المورد العرقية .  
المجلد الرابع - العدد الرابع .
- للمفضليات - جمع المفضل الضبى - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد  
السلام هازون الطبعة الثانية - دار المعارف .
- مقدمة للشعر العربى - أدونيس (على أحمد سعيد) - الطبعة الثالثة -  
بيروت ١٩٧٩ .
- مقالات فى الشعر الجاهلى - يوسف اليوسف - دمشق ١٩٧٥ .
- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، النويرى دار الكتب - القاهرة .
- النوادر - أبو على القالى - المكتبة التجارية ١٩٥٣ .

ثانيا : مصدران باللغة الإنجليزية:

- 1 - The New Illustrated Wildlife Encyclopedia , Funk and  
wagnal USA , 1980 .
- 2 - Wonders of Animal life , Edited by sir john Hammelton  
- whitefriars . London .

ثالثا : دوريتان :

- مجلة الدارة السعودية .

- مجلة المعرفة السورية .

\* \* \*



رقم الإيداع

٩٢ / ١٠٢٥٧

ISBN 977 - 02 - 3919 - 4

مطبعة التونسى

٣ شارع الفلكى - الاسكندرية